

جامعة بيروت العربية

كلية الآداب

قسم التاريخ - السنة الرابعة

المغرب القديم

قاعة بحث الامبراطورية الرومانية

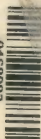
بقلم

الدكتور رشيد الناضوري

١٩٧٥

مكتبة
بيروت
بيروت

0168993



Bibliotheca Alexandrina

جامعة بيروت العربية

كلية الآداب

قسم التاريخ - السنة الرابعة

المغرب القديم

قاعة بحث الامبراطور الرومانية

بقلم

الناصري

١٩٧٥

بكتبة
بيروت

الباب الأول =====

أقسام التاريخ المغربى القديم وبعض مصادره الرئيسية

مر تاريخ المغرب القديم بالمراحل الرئيسية في تاريخ الإنسانية كمصور
ما قبل التاريخ والمصر التاريخي . ويعتمد الباحث في دراسة هذا التاريخ
على المصادر الأصلية الأثرية واللغوية المدونة لمحاولة الوصول الى حقائق
تاريخ الانسان في هذه المنطقة . غذا بالاضافة الى بعض الظواهر
الأنثروبولوجية الثقافية التي تلقى ضوءا على جوانب معنوية واجتماعية في هذا
التاريخ . وأيضا ما سجله الكتاب اليونان والرومان والمسيحيون والمسلمون
والمغرب عن هذه البلاد . وقبل تتبع بعض هذه المصادر تنبى الإشارة أولا
الى الأقسام الرئيسية للتاريخ المغربى القديم .

والقسم الثاني :

المصر التاريخي ويبدأ بالمصر الفينيقي الذي يؤدى الى مصر
القرطاجي ويستمر من الناحية الزمنية حتى عام ١٤٦ ق.م. ويتضمن مرحلة
الممالك البربرية بصفة خاصة أثناء مصر القرطاجي . ويمثل هذا القسم
مرحلة اتصال التاريخ المصري القديم بالشرق الأدنى القديم وغرب أفريقيا
وأوروبا .

والقسم الثالث :

المغرب في مصر الرومان ثم الوندالي والبيزنطى ويستمر حتى مام
٦٤٧ م. ويتصل فيه المغرب اتصالا وثيقا بالجانب الأوروبي ويتداخل تاريخه
القديم مع تاريخه الوسيط الى أن يبدأ مصر العربى الاسلامى الذى يمثل
مرحلة جديدة في تاريخ المغرب تستمر حتى الآن .

الباب الثاني

مصور ما قبل التاريخ في المغرب الكبير

قبل الاشارة أولا الى كل من السحورين الرئيسيين اللذين ينبع منهما الانتاج الحضارى بكافة مظاهره وهما البهية والانسان . فالحضارة في أوسع مجالات مفهومها ما هى الا نتاج تفاعل الانسان مع البهية . ويعتمد هذا التفاعل فيما يعتمد ، على البهية هذه البهية وما تكتسبه من علوم جغرافية تختلف باختلاف الزمان والمكان . ولذا لك كان العامل البهية من أهم العوامل التى تؤثر في هذا الانتاج وتشكله بشكل معين . ومن ناحية أخرى ظل الانسان يترقب هذه البهية ويحاول على ملاحظة مظاهرها المختلفة الأرضية والجوية والمائية والنباتية والحيوانية ويكتسب في هذا الصدد الكثير من التجارب التى تماونه في دفع عجلة التحول والتطور والاختراع والانتاج .

والواقع أن هذه التجارب المتوارثة والمكتسبة على بمثابة الأساس الذى تقوم عليه عملية الانشاء الحضارى وليس للعنصر البشرى من حيث انتاجه الجنس معين أية صلة بالتفوق الحضارى . فعبقرية الانتاج تعتمد على الظروف البهية والتجارب المختلفة وأيضا المثابرة على ملاحظة وربط الظواهر المامسة والخاصة . وتتفاعل في هذا المجال القومات المحلية مع المؤثرات الخارجية مما يؤدى الى نمو أو تمدد الاتجاهات الحضارية .

الرومان بالنسبة لمن يقل عنهم حضارة . وهم ينتمون الى عنصر البحر
الابيض المتوسط بوجه عام ولكن تنظراته دقة صفات هذا العنصر فيهم
حسب أماكن استقرار قبائلهم . فقد استقرت بعض هذه القبائل في الشمال
والأخرى في الجنوب مما جعلها تتأثر بالموجات البشرية القادمة من طريق
البحر الابيض المتوسط أو عن طريق الصحراء .

وقد تمكن الانسان المخرّب القديم منذ العصر الحجري القديم
الاسفل من صنع حضارة ترك آثارها في المواقع الاثرية المختلفة ، ويمكن
تتبع المقدمات الرئيسية لتلك الحضارة في الفصل التالي .

جدول رقم (١)

جدول تنويهي لحضارات المصرا الحجرى القديم الأسفل فى المغرب

الحضارة	المصور المطهرة فى المغرب	المصور الجلدية فى أوريسا
Galèt amenagé حضارة لحصى المشذب	المطوى السلوى	دناو جنز
حضارة لنواقدات الوجهين Biface	العامرى التنسيقى ما قبل السلطاني	مندل رس نرم

المواقع الأثرية	المراحل الحضارية
<p>Tardignet-er Rahla — مزابوق — دارالروم محجر د بيه Deprez بالدار البيضاء مين حنش — Champlain — منصوره محجر شتيد بالدار البيضاء سوق الارباع — سيدى عبد الرحمن — مالة</p>	<p>المرحلة القديمة المرحلة المتطورة</p>
<p>سيدى عبد الرحمن — قمة مين حنش ؟ ترنيفين سيدى عبد الرحمن . محجر S.T.I.O. بالدار البيضاء — وادى ملاح . سيدى عبد الرحمن . كهف الدببة Oura بسيدى عبد الرحمن كهف Idtitorin بسيدى عبد الرحمن — محجر باوتن . سيدى عبد الرحمن — وادى الخميس رأس شاتليه — مين خلوف — سيدى الزين .</p>	<p>الاشولية القديمة الاشولية الوسطى الاشولية المتطورة</p>

سبيل الاقتراض النظري الذي يحتمل تدعيمه مستقبلا بالأدلة الأثرية .
ولكن ما لا شك فيه أن انسان العصر الحجري القديم الأسفل قد تمكن
خلال هذه المرحلة الزمنية المبكرة من اكتساب عدد من التجارب الحيوية
في حياته . ما ساعد على دفعه نحو الانتقال الى المرحلة الحضارية المتأخرة
وهي مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط .

التالية وبصفة خاصة في العصر الحجري الحديث . ولم يقتصر هذا الجانب الفكري على هذه النواحي بل لقد بدأ إنسان هذه المرحلة في التعبير بالرسم عن أفكاره واستخدام بيض النعام كزجاجات ماء* زينها برسوم هندسية* كما بدأ من ناحية أخرى النقش على الصخر فتد حفر بعض الرسومات الحيوانية على الصخر .

والواقع أن هذه الرسومات لها وظيفتها التعبيرية ، وتعتبر مرحلة أساسية في تطور التعبير الانساني في المراحل الحضارية الى أن يصل الى مرحلة التعبير بالكتابة في بداية العصر التاريخي . كل ذلك يبين تقدم الانسان في هذه المرحلة الحضارية في المجالات المادية والفكرية تقدم ما ملحوسا يمهّد لنقلته نحو " ثورة " انتاج الطعام والعصر الحجري الحديث .

حضارية متأثرة بالحضارة المصرية القديمة . ويعتبر ذلك استمرارا للمصطلحات المصرية بين المغرب ومصر القديمة . وهناك رأى آخر يميل الى الاعتقاد بأن هذه الرسوم قد جاءت من غرب أوروبا وأسبانيا أو عن تطور مسن الحضارة القفصية المحلية . ولكن هذا الرأى يصعب الاستناد عليه اذا قورن بالادلة الأثرية السالفة الذكر .

وبينما يجد الباحث أن مرحلة العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى القديم قد تبصها عصر الحجر وعصور ما قبل وقبيل الأسرات مسما مهد لبداية العصر التاريخي فإنه لا يجد ما يناظر ذلك في المغرب القديم فقد استمرت مرحلة العصر الحجري الحديث وبدأ العصر التاريخي بعدها حوالي ١٢٠٠ ق.م. أنظر الجدول التقويمي المرفق . ولكن هناك بعض الأدلة غير القوية التي من الجائز الاستناد عليها في امكانية القول بتوصل الانسان الى استعمال النحاس في المغرب أثناء العصر الحجري الحديث وذلك اعتمادا على وجود بعض رسوم لخناجر مغلب كونها نحاسية . كذلك العثور على آثار نحاسية فعلا ولكن في مرحلة زمنية تالية . والواقع أن العامل الهيكلي كط سبقت الإشارة كان من أهم الدوافع الرئيسية في تشكيل حضارة الانسان في المغرب القديم والمالة فترات عماره مع الطبيعة الى أن جاءت السس المغرب عناصر بشرية جديدة مامية الأصل من طريق البحر ورسست بسفنها على الشواطئ المغربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الألسي وبدأت عملية نقله حضارية حاسمة لمجتمع العصر الحجري الحديث في المغرب الى مجتمع العصر التاريخي وكان ذلك على أيدي الفنيقيين .

جدول تقويم ستارن لحنارات مصر والمشرق
في العصور الحجرى الحديث، والحجر والنحاس
وما قبل الاسرات، وبداية العصر التاريخى

الزمن	العصر	مصر	المشرق
٥٥٠٠ م	الحجر الحديث	القبور مرممة بنى سلامة حلوان المرمى د بر تاسا	حضارات برقة حضارات برقة والقفصية
٤٥٠٠ م	الحجر والنحاس	البدارى	اكتاثة استخدام النحاس
٣٤٠٠ م	ما قبل الاسرات	جزر قوا لعمرونقاة أول جزر قوا لعمرونقاة ثانى	
٣٠٠٠ م	العصر التاريخى	العصر الثانى والدولة القديمة وعصر الانتقال الأول والدولة الوسطى وعصر الانتقال الثانى والدولة الحديثة	
١٢٠٠ م		= =	العصر الفينيقي

الزمن
العصر
والتاريخ

الباب الثالث

العصر التاريخي في المغرب القديم

يمثل هذا العصر مرحلة جديدة في تاريخ المغرب القديم تداخلت فيها العناصر المحلية البربرية مع العناصر الفينيقية المهاجرة من الشرق الأدنى القديم والسامية الأصل والعناصر اليونانية والرومانية الهندسية الأوروبية الأصل والوندالية والبيزنطية في المجالات الاقتصادية والحضارية والسياسية الحربية والسلمية . ويلاحظ المؤرخ في خلال فترات هذا العصر التاريخي ثلاثاً بجانب البربري مع الجانب السامي في المجالات الحضارية واللغوية . والدينية أكثر من العناصر الهندية الأوروبية مع مسند نحو مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب وهي مرحلة العصر المريني الإسلامي . ويشتمل العصر التاريخي القديم على العصر الفينيقي والعصر القرطاجي متضمناً مراحل الممالك البربرية ثم العصر الروماني والوندالي والبيزنطسي ويبدأ الدارس بالعصر الفينيقي .

في مجال الفروسية وأيضا المناصر العالية وغيرها . ولم يتردد اليونانيون في الانخراط في صفوف الجنود المرتزقة في الجيش القرطاجي . ولكن كان لهذه القوة العسكرية المأجورة عيوبها في كافة الجوانب التنظيمية والتكتيكية والقومية . وكانت هناك اشكالات دفع الأجير واحتمالية قيامهم بتدورات داخلية بسبب تأخر دفع الأجير . ومن ناحية أخرى اتهمست قرطاج سياسة عقد المحالقات السياسية مع بعض القوى المتاخمة لها مثل الاثوريين في شبه الجزيرة الإيطالية . هذا بالإضافة الى قيام تلك المدن الفينيقية بمهام تحصينية قوية للدفاع عن كياناتها مثل بناء الاسوار والحصون والكتلات وكذلك تجهيز الجيش بالمعدات والموءن وأيضا توفير السفن اللازمة للأسطول القرطاجي . وقد عثر في الحفائر في الكثير من هذه المواقع الفينيقية على آثار هذه التحصينات الدائمة .

وبذلك بدأت مرحلة جديدة أقرب الى الصفة السياسية منها للاقتصادية وهي مرحلة العصر القرطاجي . ازدادت فيها الصلات الفينيقية المبربرية وانتقل فيها المغرب من الاطار المحلي البحث الى صميم ممتلكات التطورات السياسية الدولية في حوض البحر الابيض المتوسط .

الدارس في هذه المرحلة تعدد الوظائف السياسية وتأثيرها لحد كبير بالتنظيم السياسي اليوناني والروماني ، فقد ظهرت عدة عيقات سياسية جديدة مثل مجلس الشيوخ ومجلس المائة . وكان مجلس الشيوخ يتكون من ثلاثمائة عضو ، أما مجلس المائة فكان مكونا من مائة وأربعة أعضاء . وتركزت السلطة السياسية المباشرة في يد حاكم أو كما كانا يسمىان ملكا أو سبطان ، وهذا النظام يشبه نظام التنافس الروماني . ويستمر هذان الحاكمان في سلطتهما لمدة سنة ولهما رئاسة مجلس الشيوخ ، كما يشترك مجلس المائة في وظيفة الرقابة كضمان لسير الشؤون السياسية في طريقها . ويلاحظ الدارس أن هذه المرحلة من تطور التنظيم السياسي القرطاجي أعطت الشعب لحد كبير دورا من المشاركة فسي هذا التنظيم ، أما المرحلة الثالثة فهي تجمع لحد ما بين المرحلتين الأولى والثانية .

وقد استمرت المرحلة الثالثة من هذا التنظيم في القرنين الثالث والثاني ق.م . وتركزت فيها السيادة السياسية لأسرة برقة ولكن ليس بنفس الطريقة التي كانت عليها المرحلة الأولى بل لقد جمعت تلك المراحل بين سلطة تلك الأسرة وسلطات مجلس الشيوخ والمجالس الأخرى الخاصة بالشؤون المالية والدينية ولائحة الثلاثيني ومجلس العشرة . ويلاحظ الدارس أن هذه التجربة السياسية التي واجهتها الدولة القرطاجية كانت مثل ما يماصرها من القوى الأخرى اليونانية والرومانية ، حيث قد مرت جميعها بمراحل التطور التنظيمي السياسي . ولذلك يلاحظ الدارس جمع التنظيم السياسي القرطاجي بين النواحي الملكية والاستقراطية والشمسية أو الديمقراطية . وعلى الرغم من عدم استقرار هذا التنظيم فقد كان دستور القرطاجي يوضح في صفاته اليونانية والرومانية ، فهو الدستور الأجنبي الوحيد الذي اتجه أرسطو إلى اعتباره في دراساته الدستورية .

الجيوش القرطاجية في تحقيق أغراضها واضطر أجاثوكليس إلى العودة
بمباشرة إلى المغرب لمواجهة هذه التطورات الجديدة ولكن ذلك لم يسوّد
إلى أية نتيجة لأن القرطاجيين كانوا قد اتوا لتخليص من الحصار وأنقذوا
دولتهم من ذلك الخطر الداهم . وانتهى هذا الاشكال بمقد اتفاقيّة
هدنة وسلام مع أجاثوكليس ، ولم تنتهز الدولة القرطاجية تخرج موقف
أجاثوكليس ، وتابعت في جزيرة صقلية وفي سيراكيوز بالذات بل اكتفست
بهذا القدر من الانتصار .

ولكن عمليات الصراع الشديدة السالفة الذكر سرعان ما تماود كرتها
مرة أخرى مع قوة جديدة هامة في ميدان البحر الأبيض المتوسط . كانت تترقب
الأحداث الجارية حولها من كثب وهي القوة الرومانية . وقبل دراسة
مراحل الصراع القرطاجي الروماني تنبئ الاحالة بالكيان المجتمعي
المضرب في العصر القرطاجي والتعرف على الحياة الفكرية والمجتمعية
القرطاجية والبربرية وكذا النشاط الاستكشافي في تلك الفترة .

التقرير قد تضمن الكثير من الاشارات التي تشير الخوف والفرح لدى من تسول له نفسة الاقتراب من هذه الأماكن ، مما يزيد أيضا في جانب ،
الاحباد المتحمم حتى يقتصر هذا السوق الجديد على نشاط القرطاجيين
وحدهم . ومن الناحية الأثرية حاول بعض الباحثين تتبع الآثار الفينيقية
والقرطاجية على الساحل المسمى المطل على المحيط الأسمى ، وتستند
على أبحد مدى لها حتى الآن في جزيرة الصويرة ، ولكن من المحتمل العثور
على آثار أبحد من ذلك لجنوبا . ولا يخفى ذلك انعدام ورود حقائق نسي
هذا النص بل على العكس من ذلك فقد تضمن الكثير من الحقائق النسي
تشهد بصورة واضحة على نجاح القرطاجيين في رحلتهم الاستكشافية
والاقتصادية الهامة على الساحل الافريقي الغربي ووصولهم حتى منطقة
الكونجو في افريقيا الاستوائية الغربية . أما من بعض تفاصيل فقرات هذا
التقرير فيلاحظ الدارس بعض الملاحظات التي تجدر الاشارة اليها .

تشير الفقرة الأولى من هذا النص الى حقيقة هامة في التاريخ
المسمى ونرى أن الفرض من هذه الرحلة كان أصلا تأسيس مراكز ليبينية
- نينيقية أى بربرية قرطاجية على الساحل الغربي لافريقيا . وهذه الاشارة
تؤكد تداخل المنصرين البربري والفينيقي في العصر القرطاجي واعتبارهما
عنصرا مندمجا لحد كبير حاملا للصفة القرطاجية لأول مرة في تاريخ المغرب .
وكما سبقت الاشارة فقد كانت العلاقات البربرية الفينيقية سلمية للغاية في هذه
المرحلة . ويلاحظ أيضا في تلك الفترة أن عدد السفن وأفراد الرحلة كان
كبيرا للغاية ويشير النص أنه يصل الى ثلاثين ألف ويصعب تقبل هذا الرقم
لما يستتبعه ذلك من تجهيزات ضخمة في ذلك الوقت الذي يمكن تقدير عدد
سكان العاصمة القرطاجية فيه بحوالى ٢٠٠ ألف نسمة . وربما كانت هذه
المبالغة متعمدة أيضا لأغراض سياسية واقتصادية .

وقد اختلف العلماء في محاولة تحقيق الأماكن التي أشار اليها
النص ، مثل ثامياتيون والتي كان هناك اتجاه الى اعتبارها موقع المهدية

شمال الرباط في المغرب الأقصى . ولكن ذكر النص لها أنها بمثابة المركز الأول بعد مضيق جبل طارق بجبل الدارس يحدد مكانها قرب طنجة وليس في نواحي الرباط . وما يدعم ذلك أن النص يشير في الفقرة السادسة إلى نهر لوكوس الذي يوجد عنده موقع ليكوسوس ما يجعل الرحلة لا تزال في الجزء الشمالي الساحلي من المغرب ولم تحمل بعد إلى منطقة المهدية . ومن الجوانب التي يلمسها الدارس عملية تشييد القرطاجيين للمعابد في مراكزهم التي تكونوا من انشائها وهذا يشمل محاولتهم توطيد حضارتهم في هذه المواقع الجديدة ما يجعل تسميتها الحضارية الساسية الدولة القرطاجية ويحمل تحقيق الأفراض الاقتصادية أيسر ما لو ظلت على طبيعتها الأولى البربرية . ويؤكد ذلك أيضا الإشارة إلى الفقرة السادسة من هذا النص التي توصل القرطاجيين إلى علاقة مصادقة ومودة مع أهل ليكوسوس تدعيها للكيان القرطاجي في هذه المواقع . ويشير النص أيضا إلى عناصر بربرية تحمل اسم الأثوبيين في الفقرتين السابعة عشرة . وينبغي على الدارس المتفرقة بين الأثوبيين الشماليين الذين يعتبرون من البربر وكانوا لا يزالون في ذلك الوقت في مرحلة العصر الحجري الحديث ، وذلك لأن المغرب الداخلي الصحراوي والجبلي كان لا تزال تسكنه قبائل البربر وظلت لحد ما في مرحلة العصر الحجري الحديث حتى العصر الروماني ، بينما الأثوبيون الجنوبيون قد تغلبت عليهم الصفة الزنجية بحكم تواجدهم في المنطقة المتاخمة مباشرة للأقاليم الاستوائية . ولم يتمكن التراجع من أهل ليكوسوس من التفاهم مع هؤلاء الأثوبيين الجنوبيين لاختلافهم الكلي عن اخوانهم في الشمال . ومن الطريف أن فقرات النص التي تعبر عن الظواهر الطبيعية الجبلية والغابية وانحدارية في الأقاليم التي مرت بها الرحلة تتمشى أوصافها مع طبيعة الأقاليم الأفريقية التي لا تزال حتى الوقت الحاضر تحمل لحد بعيد نفس مظاهر تلك الطبيعة . ويشير النص في الفقرات الثالثة عشر وما بعدها إلى ظاهرة النهران المشتملة في فترات غير منتظمة وأحيانا يصاحبها أصوات المزامير والطبول وصيحات التجمعات البشرية من حولها ، وهذه تعبر بما لا يدعو إلى الشك عن الاحتفالات القبلية الزنجية التي

لا تزال صقوسها تمارس بصورة متفاوتة من مكان الى آخر . وكان لتواجد النيران المشتعلة فيها ما يبرره اما للاضاءة أو لاهدام القوى الشريرة أو لأغراض الدفء أو العبادة . ولكن الإشارة في الفقرة السادسة عشرة الى لهيب النيران المرتفع الذي ، حسب تعبير النص يلامس النجوم ، فيرمز ذلك الى بركان الكامهرون وهو لا يزال في منطقة الكونجو . وما يؤيد الوصول الى المنطقة الاستوائية إشارة الفقرة السابعة عشرة من النص الى الفوريلات التي اعتبرت الرحلة وقد فت أفرادها بالأحجار وغيرها من الثلواهر التي تتسم الحياة الاستوائية .

هذه الرحلة تعتبر جهدا استكشافيا مبكرا في تاريخ حركات الاستكشاف الانساني للحالم وتسبق هذه الجهود الاسبانية والبرتغالية وغيرها في محاولة الوصول الى اكتشاف القارة الافريقية والدوران حولها . ولذلك تعد هذه الخطوة القرطاجية احدى مآثرهم المفيدة في تاريخ الإنسانية .

ولم يقتصر القرطاجيون على جهودهم الاستكشافية بقيادة هانسو فهناك جهودهم على ساحل أوروبا الذين بقيادتهم تلك التي تمكن فيها من التعرف على ساحل اسبانيا الغربي وفرنسا الغربي . وهذا بالإضافة الى جهودهم المتواصلة مع كل من الفرس والمصريين في محاولة اكتشاف الساحل الافريقي الشرقي ومحاولة الدوران حول القارة الافريقية من الشرق الى الغرب . ولقد كان لخبرتهم الطويلة بشئون الملاحة البحرية أثرها البالغ في استخدام كل من الفرس والمصريين لهم في العمل في السفن وقيادتها . ومن أشهر محاولات المصريين في هذا المجال تلك التي حدثت في عهد الملك المصري ونخاو الذي استمر في الحكم من ٦١٠ - ٥٩٤ ق م . وكذلك تكليف الملك الفارسي اكركسيس لأحد اتباعه وهو ساتاسيس Sataspes

بالدوران حول افريقيا من الغرب الى الشرق كمقابله مما يؤكد تقد يسر
المخاطر التي تواجه الرحالة في رحلاتهم هناك . وقد عثر أخيرا على
بعض النصوص الفينيقية في البرازيل والتي يمكن اعتبارها كشواهد على إمكانية
وصول الفينيقيين الى ساحل أمريكا الجنوبية .

ولم تقتصر جهود القرطاجيين على عمليات الاستكشاف البحرية بل لقد
نجحوا أيضا في عبور الصحراء الكبرى من الشمال الى الجنوب . برغم ما
اعترضهم من صماب وأعداء ، فقد ذكرت النصوص نجاح رحلة قرطاجي اسمه
ماجو في عبور الصحراء ثلاثة مرات دون الحصول على الماء في طريقه . ولكن
هذه الإشارة الأخيرة تتضح فيها المبالغة ولكنها تؤكد حقيقة عبورهم
الصحراء من قرطاج الى منطقة النيجر والسفال .

وتعتبر هذه الرحلات مظهرا آخر من النشاط القرطاجي في الخارج
ومحاولتهم استكشاف المناطق الافريقية المحيطة بهم ، ويتفق ذلك مع
طبيعتهم المميدة المدى المتوارثة عن أسلافهم الفينيقيين الذين بدأوا
هذا الاتجاه الخارجي في تحركاتهم ونشاطهم التجاري والسياسي . ولكن على
الرغم من هذه السيادة القرطاجية في مختلف المجالات في المغرب في ذلك
الوقت فقد واجهت الدولة القرطاجية قوة خطيرة حاولت اجلائها عن الأرض
المغربية واحلال نفسها مكانها واشماع الفرقة بين عنصرين رئيسيين في الدولة
وهما الفينيقيون والبربر وذلك في صراع رهيب نجح في نهايته الرومان في بداية
المصر الروماني في المغرب .

الفصل الرابع

المصر القرطاجي في جانبته السياسي

المرحلة الأخيرة

لم تكن الدولة القرطاجية تنته من المرحلة الأولى في تاريخها السياسي وهي الخاصة بالصراع القرطاجي اليوناني حتى بدأت في الدخول فسي مرحلة جديدة في سجل حياتها السياسية وهي مرحلة الصراع القرطاجي الروماني ، تلك المرحلة التي أنهت الدولة القرطاجية كلية في المغرب وبدأت بمد ذلك مرحلة الاحتلال الروماني لشمال أفريقيا . وقبل التعرض للسلسلة حلقات الصراع القرطاجي الروماني والذي يعرفها بالحروب البونية الأولى والثانية والثالثة ، خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ، ينبغي الإشارة في بداية الأمر الى بعض الحقائق الأولية المتصلة بالتاريخ الروماني والتي تلقى بعض الضوء على البعثات الجغرافية والبشرية المحيطة بالدولة الرومانية الجديدة والتي كانت ذات فاعلية وثيقة خلال الصدام بالقوة القرطاجية .

بعض الحقائق الأساسية في التاريخ الروماني قبل الصراع مع القرطاجيين :-
لم تكن عملية تكوين الدولة الرومانية بالمهمة السهلة بل قد مرت تلك المرحلة بعدة محاولات وصعاب محلية . وقد بدأت تلك الظواهر منذ نشأة مدينة روما على جزيرة في نهر التيبر حوالي سنة ٧٥٣ ق م . فقد حتم الموقع الجغرافي 'لمتاز لتلك المدينة تقلد الزطامة السياسية . وبدأت الاشكالات المحلية تواجه مدينة روما من العناصر المحيطة مثل العناصر الاثروية التي كانت تقطن في الشمال والعناصر الايطالية مثل الأوسيرية والسابلية شرقى نهر التيبر واللاتينية في جنوبه وغيرها من العناصر الأخرى وبصفة خاصة العناصر اليونانية التي كانت تستحوذ على بعض المستعمرات التجارية الهامة في جنوب شبه الجزيرة الايطالية .

وقد بدأ التاريخ الروماني بصفة خاصة يتمكن العناصر الاثورية من فرض سيادتها على روما في حوالي القرن السادس ق.م. وذلك بعد أن نجحت العناصر الاثورية في التغلب نحو الجنوب واجتياز نهر التيبس. ولكن من ناحية أخرى حدث ضغط بشري شمالي آخر وهو ضغط الشعوب الغالية ، وأدى ذلك الى اضطراب الاثوريين الى التراجع نحو الشمال هذه الهجمات الجديدة عليهم . واستطاع الرومان انتهاز تلك الفرصة قرب نهاية القرن السادس ق.م. والتخلص من الحكم الاثوري وتكوين الجمهورية الاستقرائية سنة ٥٠٩ ق.م.

وبدأت مدينة روما توطد علاقاتها مع المدن اللاتينية المحيطة وعقدت معها بعض المعاهدات التي تهدف الى تحقيق الوحدة الإقليمية تحت مظلة روما . ولكن تلك الوحدة اللاتينية قد واجهت اختبارا عنيقا عندما اتجهت العناصر الغالية الى غزو روما سنة ٣٩٠ ق.م. ومن الأهمية بمكان الإشارة الى أن الدولة الرومانية الناشئة في ذلك الوقت قد اتجهت الى التحالف مع الدولة القرطاجية سنة ٤٨٠ ق.م. وتتمهد الدولة القرطاجية بمقتضى هذه الاتفاقية ألا تتدخل في شؤون المدن اللاتينية بل أن تساعد روما على التحكم في تلك المدن في حالة عصيانها ، والواقع أن العلاقات بين الدولة القرطاجية والدولة الرومانية قبل الحروب البونية كانت علاقات يسودها السلام لحد كبير . هذا وقد العلاقات الرومانية اللاتينية غير مستقرة تماما وذلك في مرحلة النمو الروماني تجاه الوحدة الإيطالية. واتجهت مدينة روما الى توسيع دائرة سيادتها في الأقاليم الإيطالية منتبهة فرصة استتجد بعض تلك الأقاليم بها مثل منطقة كامبانيا الذين كانوا قد هددوا من ناحية إقليم سينيوم . وكذلك من ناحية أخرى فقد اضطرت مدينة روما الى التدخل بصدد الصواب التي واجهتها مدينة تارنتوم الرومانية من ناحية السمينيين أيضا والتي أدت الى اتجاه تلك المدينة الى الاستعانة بملك ابيروس . وقد أدت هذه التدخلات الى الصدام بين الرومان والسمنيين في

حروب طويلة استمرت فيها السمنية الأولى من سنة ٣٢٦ الى سنة ٣٠٤ ق.م. كما استمرت الثانية من ٢٩٨ الى ٢٩٠ ق.م. وقد وصلت الاشـكـكـالات المختلفة التي واجهت مدينة روما في عملية صراعها الداخلي في سبيل السيادة الرومانية الى موقف جديد عندما تحالفت العناصر السمنية الأثرورية والغالية ضد السيادة الرومانية ، ولكن سرعان ما تمكن الرومان من ايقاع الهزيمة بهم في موقعة سنتينوم Sentinum سنة ٢٩٥ ق.م.

وقد اكتسبت روما في عمليات الصراع الداخلي السالفة الذكر عدة تجارب مكنتها في المدى البعيد من استخدامها وتحقيق سيادتها فسي النهاية . فقد اتجهت روما الى اتباع السياسة التحصينية في عملياتها الدفاعية بأن أقامت نقاط الحراسة في أماكن متعددة تتصل مباشرة مع القيادة الرئيسية في مدينة روما ذاتها بواسطة الطرق مهددة تسمح بسرعة الاتصال المباشر . وهذا التقليد الروماني البحث قد استخدمه الرومان في كافة المناطق التي حكموا فيها تدميرا لكيانهم السياسي والحرى . ويلمن الدارس بوضوح هذا السياسة الرومانية في المغرب في فترة الاحتلال الروماني والتي سيعرض لها الفصل التالي . ومن ناحية أخرى تنبغى الإشارة أيضا الى طبيعة السلوك الروماني الذي يميل الى الواقعية البحتة وروح المخاطرة والنزعة الحربية وكان يحمل على تحقيق هذه الغصائل في عملياته السياسية .

وبعد أن فرقت روما من القضاء على أعدائها من الاثوريين والسمنيين والغاليين اتجهت الى نشر سيادتها في الجزر الجنوبية من شبه الجزيرة الإيطالية الذي كان خاضعا للنقوذ اليوناني . وقد حدث أن ظهرت شخصية يونانية هامة في ذلك الوقت وهى شخصية بيرهوس Pyrrhus على عرش ابيروس وكان يأمل في تدهيم السيادة اليونانية في جنوب شبه الجزيرة الإيطالية وفي جزيرة صقلية ويوقف كل من النقوذ الروماني والقرطاجي في غربى البحر الأبيض المتوسط . وقد انتهز بيرهوس فرصة تأهب الدولة الرومانية الى تدهيم سيادتها على الجنوب وحدث أن طلبت مدينة تارينتوم اليونانية النجدة فتقدم

نحو تلبية هذا الطلب أملا في نفس الوقت تحقيق فرضه البنعيد المدى . ولكن هذا التدخل اليوناني الجديد سرطان ما حول الموقف من معركة محلية الى صراع دام بين القوى الكبيرة في غرب البحر الأبيض المتوسط . وفي بداية الأمر انتصر بيرهوس في معركة هرقليا سنة ٢٨٠ ق م . عندما استخدم الفيلة في اثارة الرعب والذعر في نفوس الرومان ما أزعج مجلس الشيوخ الروماني . ولم يستكمل بيرهوس تقدمه بعد ، ذلك نحو روما ذاتها بل اتجه نحو لجزيرة صقلية لمساعدة العناصر اليونانية ضد القرطاجيين هناك . وزاد هذا التدخل الموقف تعقدا في جزيرة صقلية ولكن حمسم الموضوع قد تم على يد الرومان الذين اشتبكوا في معركة نهائية معه في موقعة سينيوم سنة ٢٧٥ ق م . والتي انتهت بانتصار القوات الرومانية وتحقيق سيادتها على شبه الجزيرة الإيطالية . وسهد ذلك نحو تحقيق الزعامة الرومانية وظهور روما كدولة قوية جديدة وخطيرة في المنطقة . وكان من المنتظر تغير العلاقات السلمية بين تلك الدولة الرومانية والقرطاجيين لتتأرجح كل منهما حول السيادة السياسية والحربية ، والاقتصادية في غرب حوض البحر الأبيض المتوسط . وقد حدث ذلك فعلا في مراحل الصراع القرطاجي في أثناء الحروب البونيه الأولى والثانية والثالثة .

الحرب البونيه الأولى :

كان من المتوقع كما سبقت الإشارة تصادم القوتين القرطاجيتين في منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط وهما القوة الرومانية والقوة القرطاجية حول السيادة السياسية والاقتصادية في المنطقة . ولم يكن هذا التصادم مقتصرًا على مرحلة واحدة بل لقد تعددت جوانبه في عدة حروب برية وبحرية في المغرب وفي صقلية وفي أسبانيا وفي إيطاليا ، وتصرفت تلك الحروب باسم الحروب البونيه Bellum Punicum وذلك أثناء القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد . أما الحرب البونيه الأولى فقد استمرت من سنة ٢٦٤ الى ٢٤١ ق م . وتضمنت عدة معارك في جزيرة صقلية وفي الأرض المغربية .

وقبل التمرض الى الأسباب المباشرة لهذه الحرب وبعض معالمها الرئيسية تنبؤ الاشارة مرة أخرى الى أن العلاقات القرطاجية الرومانية لم تكن من السوء بدرجة تحتم هذا التصادم الحربي الهائل ، بل كانت تلك العلاقات يسودها السلام قبل هذه الحرب . وقد دعم هذا السلام بالمعاهدات التي تحدت نشاط كل الحرف في المنطقة تأكيداً لعدم تواجد دواعي للتصادم بينهما . هذا بالإضافة الى أن هذه العلاقات السلمية قد وصلت الى درجة تقبل قرطاجية مبدأ «ساندة روما في حالة تعرضها لبعض الاشكالات في سبيل سيادتها في شبه الجزيرة الإيطالية» . وترجع سجلات هذه الاتفاقيات السلمية الى القرن السادس والرابع قبل الميلاد . ولكن هذه العلاقات سرعان ما توترت بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية في جزيرة صقلية وهي نفس الأسباب التي كانت من عوامل التصادم بين القرطاجيين واليونانيين . وكان التقليد الذي تتبعمه المدن الصقلية هو «الطلب الاستعانة تارة بالقوة القرطاجية وتارة أخرى بالقوة الرومانية حسب تقدير مدى القوة الفعلية الحرية والسياسة في وقت الطلب المساعدة» . ولا ينبغي على المؤرخ في نفس الوقت تجاهل سياسة كلا القوتين القرطاجية والرومانية في الرغبة الملحة في التوسع والسيادة الاقتصادية والسياسة على حساب المدن الصقلية من ناحية والقوى المنافسة من ناحية أخرى . وقد ظهر ذلك عندما حاولت مرة أخرى مدينة سيراكيوز أن تحتل دور الزعامة في جزيرة صقلية ولم يكن ذلك يتفق مع رغبة مدن أخرى صقلية مثل أكراس التي استعانت بالدولة القرطاجية . وقد اتصف الموقف السياسي في ذلك الوقت بالنسبة الى تلك الأزمة الطارئة بالصفة الدولية لأنه قد اشتركت فيه عدة قوى مثل القرطاجيين واليونانيين والصقليين والرومان ، وكل لحرف من هذه الأطراف له مرامي السياسية الخاصة . وبدأت الأزمة في التواجد عندما اتجه الملك بهروس Pyrrhus ملك إبيروس Epirus الواقعة في غربي بلاد اليونان والمطلة على الجزء الجنوبي من البحر الأدرياتيكي في التدخل في هذه المشكلة سنة ٢٧٨ ق م . وكان يتميز بشخصيته الطموحة الراقية في التشبه بالأكبر . ومن ناحية أخرى حاول القرطاجيون

الاطمئنان الى موقف الرومان من هذه الأزمة ولكن تدخل بيرهوس قد غير
ميزان القوى التقليدي في المنطقة ، بل لقد وصل الأمر الى تطور خطير
عندما اتجه بيرهوس الى تهديد الدولة القرطاجية في عقر دارها مقلدا
بذلك بعض الساسا ليونانيين الذين حققوا الى حد ما خططهم ههنا
واستمد بيرهوس فعلا لهذا الهدف ولكن ولكن اضطراره الى المسودة
الى جنوب إيطاليا قد حال دون ذلك : وكان الموقف من وجهة النظر
الرومانية يحتم ضرورة تحرير الجنوب الايطالى من القوى الدخيلة ونشر
السيادة الرومانية على كافة أجزاء شبه الجزيرة ، وتكن الرومان فعلا من
الانتصار على بيرهوس في الجنوب وبذلك وبذلك انحصرت القوى الرئيسية
المتنافسة في غرب البحر الأبيض المتوسط على الرومان والقرطاجيين .
وأصبحت عوامل التصادم المباشر بين هاتين القوتين قوية لأن الدولة
القرطاجية قد اتجهت الى محاولة سيادتها الكلية مرة أخرى على جزيرة
صقلية منتهزة فرصة رجوع بيرهوس وتوقف المساعدة اليونانية لمدينة سيراكيوز .
وقد دعم هذا الكيان القرطاجى تقبل مدينة مسينا في شمال جزيرة صقلية
السيادة القرطاجية . وكانت روما تمتنع بتدبيرها ^{ذلك} لأنها في حدودها
الجنوبية لأن مدينة مسينا تتاخم السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة الانطالية .
هذا بجانب تحكم القرطاجيين في جزيرة سردينيا مما يمكن اعتباره أيضا من
وجهة النظر الرومانية مصدر تهديد غريب للأمن الرومانى ، وقد ازدادت دوافع
التدخل الرومانى في الموقف عندما حدث اتفاق تحالف بين هيرو حاكم
سيراكيوز وبين الدولة القرطاجية ضد الرومان . وكان قد حدث أن تكتت
مجموعة من الجنود المرتزقة الايطاليين والذين كانوا في خدمة ملك سيراكيوز
من دخول مدينة مسينا والاستيلاء عليها ولكن هذا الوضع اعتبره كل من هيرو
والقرطاجيين ناديا وينبغى التوجه مباشرة لانهاه ، لأنه يعتبر خطيرا
جديدا على السيادة القرطاجية في الجزيرة ، وكذلك على مدينة سيراكيوز .
ولكن هؤلاء المرتزقة الايطاليين تنهبوا الى القوة الرومانية الشابة في المنطقة
واتجهوا الى طلب معاونتها وتدخلها لانقاذهم قبل أن يتدخل القرطاجيون
ويتحكموا في الموقف . وازاء هذا التطور السريع عدل الملك هيرو سياسته من

التحالف مع القرطاجيين الى التحالف مع الدولة الرومانية التي أبسدت
استعدادها للتدخل الفعلى وساندة الايطاليين في مسينا وأرسلت
قواتها التي تقدمت نحو سيراكيز ذاتها مما اضطر القرطاجيون المسى
الانسحاب من هذا الموقف الحرج والاستعداد للمشارك القادمة مع
الرومان ، وبذلك بدأت الحرب البونية الأولى .

كانت هذه الحرب بحرية الطابع بوجه عام وعلى أرفع من الخبرة
الأولية المحدودة للرومان في المجال البحري فقد تفتنوا الى ضرورة تجهيز
قوات بحرية مستعدة لمواجهة القوة القرطاجية المتدربة على الملاحة البحرية
بصورة ماهرة منذ أجدادهم الفينيقيين . ولذلك انتهر الرومان فرصة
استيلائهم على احدى السفن الحربية القرطاجية وتكنوا من تقليدها وعلى
نطاق واسع مستكملين بذلك أسطولهم المجهز بالأسلحة اللازمة للحروب
البحرية ، فقد كانت السفن الرومانية مجهزة بالطوابق اللازمة للمجدفين يصل
بعضها الى خمسة طوابق والبعض الآخر الى أقل من ذلك ولكن هذا التسليح
الروماني البحري لم يكن ليصل الى درجة التسليح القرطاجي حيث كانت
السفن القرطاجية تتميز بسرعتها وقدرتها على الدوران والتوجه بخفة نحو
أهدافها ، وتكمن الرومان من تعديل صناعاتهم السفن الحربية على اثر
اكتسابهم لعدد من التجارب في هذا المجال وحتى تتماشى مع تحقيق الانتصار
في الحملات البحرية الحربية . وكذلك اتجه القرطاجيون الى الاستعداد من
ناحياتهم بتجهيز قواتهم من الجنود المرتزقة بقيادة هانو ثم هملكار ثم
هانيبال من بعده وتركزت تلك القوة القرطاجية بمدينة أكراجاس بجزيرة صقلية .
ولم يهمل القرطاجيون أيها قوتهم البحرية البكلة لقواتهم البرية والتي توفر لهم
الامدادات والتوئين اللازم ، وواجهت القوى الرومانية والقرطاجية بعضها
بعضا سنة ٢٦٢ ق.م في ليبارا ثم في ميلاي بجوار مسينا وتكتت القسوة
الرومانية من الانتصار في هذه المعركة البحرية . وقد استمرت المصادمات
القرطاجية الرومانية في هذه الحرب تتأرجح بين الانتصار والهزيمة ، فبعد نجاح

الرومان السالف الذكر سرطان ما واجهتهم الهزيمة في موقعة ثرمای سنة ٢٥٦ ق م . ولكن هذه المناوشات والسجال بين الطرفين لم يصل الى نتيجة حاسمة الا عندما أتجه الرومان الى محاولة نقل الجبهة الغربية بصورة مؤقتة من المجال البحرى الى المجال البرى على أرض المغرب .
انتهت متبعين نفس التقليد اليونانى السابق الاشارة اليه في هذا الصدد ، وذلك سنة ٢٥٦ ق م .

واتجهت القوة الرومانية الجديدة بقيادة القنصلين م . فالسوس M. Vulsus وأ. رجولوس A. Regulus في طريقها الى الشالسى المغربى . وطى الرقم من محاولة القرطاجيين الوقوف في طريقهم فقد نجح الرومان في تغاى ذلك والانتصار على القرطاجيين والرسو بالقوة الرومانية في أسبس أسبس شرقى نابه . وقد أحدث هذا الوضع الجديد اضطرابا شديدا في أرجاء الدولة القرطاجية لأن الرومان أصبحوا في موقف يهدد الأمن القرطاجى بصورة مباشرة . ولكن من ناحية أخرى لم يكن من السهل على الرومان في تجربتهم الجديدة تموين قواتهم في الجبهة الغربية لمدة طويلة ، ولذلك لم يتمكن الرومان من الاستمرار في المغرب . وقد عجل القرطاجيون بمضاغفة استمداداتهم العسكرية لمواجهة هذا الخطر الحاسم فاستدعوا هملكار من صقلية وانتخب قائداً جديداً همما هزدرهال بن هانو وبوسكار للقيام بدور القيادة القرطاجية ، كما استدعى إليها الأسطول القرطاجى لتدعيم الدفاع عن العاصمة القرطاجية . وتقدم القائد الرومانى رجولوس نحو تونس في طريقه الى قرطاج العاصمة ، وكذلك اتجهت القوة القرطاجية محاولة ايقاف الرومان ولكن هو لا الأخيرين نجحوا في الاستيلاء على تونس . ومن التطورات الهامة في هذا الموقف المتحرج انتهاز البربر هذه الفرصة ومحاولة الثورة ضد القرطاجيين وكان هذا الشعور من ناحية البربر يتفق مع نزعتهم الجديدة الاستقلالية الهادفة الى التخلص من النفوذ القرطاجى واليونانى والرومانى كذلك فيما بعد ، وكانت الملاقات بين القرطاجيين والبربر مسالمة للغاية منذ استقرار الفينيقيين

واندماجهم معهم في المغرب ، ولكن المعاملة القاسية التي عومل بها البربر من الجنود المرتزقة في بعض المواقف ، وكذا التأخر في دفع الأجور المستحقة لهم ، قد أثار نفوسهم وحفزهم نحو الاحتجاج ضد القرطاجيين منتهزين فرصة تأزم الموقف تجاههم . ولكن على الرغم من هذه الصعاب الكثيرة فقد تمكن القرطاجيون من انقاذ الموقف وذلك بالاستمانة بشخصية يونانية اسبرطية خبيرة بالشئون الحربية وهى شخصية اكسانثيوس Xanthippus . فقد أهدى هذا القائد اليونانى استعداد له لتدريب القرطاجيين وتمديد خططهم الحربية بدرجة متفوقة تمكنهم من الانتصار في معاركهم القادمة مع الرومان . وكان هذا التخطيط الجديد طاملا مباشرا في استمادة القرطاجيين لسيادتهم في المغرب وإيقاع الهزيمة بالرومان بل وأسرقا قدم رجولوس سنة ٢٥٥ ق م . وبذلك تبدل الموقف مرة أخرى وأصبحت للدولة القرطاجية مكانتها في المنطقة . وطى الغر اتجه القرطاجيون الى استكمال قواتهم وتنظيمها من جديد استعدادا للمعطيات الحربية المنتظرة مع الرومان . ولم يكن من السهل على الرومان تقبل الهزيمة بهذه الصورة الشديدة فاتبعوا مرة أخرى سنة ٢٥٣ ق م ، الى الساحلية القرطاجي ، ولكن محاولتهم لم يتحقق لها النجاح ولذلك اقتصر على المجال المقلى ولو بصورة مؤقتة . وفي هذه المنطقة الأخيرة تمكنوا من احراز انتصار على القرطاجيين الذين حاولوا تدعيم نفوذهم في صقلية بمهاجمة أحد المراكز اليونانية في غرب الجزيرة وهى مدينة بانورموس Panormus وذلك بقيادة هزدروبال . وبذلك احتل ميزان القوى السياسية مرة أخرى وتصادمت القوتان القرطاجية والرومانية في المجال البحرى وتكمن القرطاجيون من أسر عدد من السفن الرومانية ، ومع ذلك فقد اتجه القرطاجيون أيضا الى زيادة تدعيم قواتهم في صقلية ، فأرسلت قوة قرطاجية جديدة بقيادة كارثالو Carthalo وتقدم على اثير ذلك القنصل الرومانى أ . بولوس Pullus الى التصدى الى هذه القوة القرطاجية ونجح الرومان في إيقاع كارثالو بقواته بين قوتين بحريتين رومانيتين . ولكن ذلك لم يؤد الى انهاء هذه الحروب

البحرية الا في المعركة التالية عندما استمد الرومان بمد تجارتهم الطويلة في للرجال البحري استعدادا كبيرا وواجهوا القرطاجيين بها ، وكسان القائد الروماني لتلك القوة هو القنصل كاتولوس Catulus كما كان القائد القرطاجي البحري ذو هانو بينما القائد القرطاجي للقوات البرية هو هملكار برقة . وتمكن كاتولوس من ايقاع الهزيمة البحرية بالقرطاجيين واضطر هملكار برقة الى عقد اتفاقية سلام مع الرومان دفعت فيها الدولة القرطاجية شتا بالفا لهزيمتها ، فقد نصت هذه المعاهدة على جلاء القرطاجية عن صقلية والالتزام بعدم مهاجمة سيراكيوز وكذلك التمسيد بدفع فرامة كبيرة وذلك سنة (٢٤٤ ق.م وبذلك انتهت الحرب البونية الأولى بانتصار الرومان في المجال البحري على القرطاجيين وفرض سيادتهم على جزيرة صقلية بل لقد انتهز الرومان فرصة اندحار الدولة القرطاجية وانشغالها بالاضرابات الداخلية التي ظهرت على اثر انتها الحرب مباشرة ، وهي ثورات المناصر البربرية ضد القرطاجيين والتي اختارت فرصة ضعفها للحصول على حقوقهم والتمسيد لسيادتهم المستقلة واتجهت الدولة الرومانية الى التحكم في جزيرتي سردينيا وكورسيكا مؤمنة جانبيها الغربي كما سبق أن أمنت جانبيها الجنوبي .

وبذلك تغير الموقف الدولي على اثر هذه الحرب البونية الأولى وأصبحت الدولة القرطاجية محدودة النشاط في ندائها البحري الشمالي ولذلك اتجهت نحو جبهة جديدة تتمكن فيها من تحقيق سيادتها الاقتصادية والسياسية بعيدة نسبيا عن المنافسة الرومانية وهذه الجبهة هي منطقة أسبانيا . ولكن الرومان لم يتركوا القرطاجيين منفردين في هذه الجبهة بل استمروا في تمسكهم لهم فيها .

ويمكن للدارس محاولة تفسير فشل القرطاجيين في الحرب البونية الأولى أمام الرومان الى عدة عوامل ، أولها يتصل بظاهرة خطيرة في تاريخ المفسر في العصر القرطاجي وهي أن المتمردين يبقى الذي نجح في الاستقرار فسي

المغرب وتقل حياته الى العصر التاريخي بمختلف مظاهره والتأثير فيه والتأثر به في كافة المجالات الاقتصادية والحضارية والسياسية والاجتماعية لم يكن طوي، درجة الاندماج الكلي مع العنصر البربري أثناء العصر القرطاجي ولم يكن من التكامل الكلي والجزئي بدرجة تجعل منها شعبا قرطاجيا واحدا في ذلك الوقت . وكانت بعض العناصر البربرية قد اندمجت فملا داخل اطار الدولة القرطاجية ولكن البربر في جملتهم لم يدخلوا تحت هذا الاطار . وربما يرجع ذلك الى الاستمرار احتفاظ القرطاجيين بطبيعتهم الفنية الأولى وهي الطبيعة التجارية مع وجود بعض محاولات للنفوذ داخل القارة الافريقية ، ولكن كانت الطبيعة البربرية هي الغالبة مما قلل من ظاهرة الاندماج الكلي مع البربر . هذا بالاضافة الى استخدام القرطاجيين للبربر كجنود مرتزقة في الجيوش والبحرية القرطاجية وبصفة خاصة في سلاح الفرسان لمهارتهم التقليدية في ركوب الخيل والمدو . ولكن حدث كما سبقت الإشارة أثناء مراحل الصراع القرطاجي اليوناني . وكذلك الصراع القرطاجي الميثوني . بعض مظاهر القسوة في محاطة ، ووحشهم في المقدمة ، وكذلك تأخير أجورهم المستحقة . كل ذلك قد أثار هذا العنصر الرئيسي في مصر القرطاجي ودفعه نحو الثورات المتتالية ضد القرطاجيين ثم محاولة الاستقلال الكلي والتخلص منهما .

تأتي تلك العوامل يمكن ارجاعه الى حقيقة عدم وجود جيش قرطاجي دائم منظم ومدرب لاداء وظيفة الدفاع عن الوطن . فان ظاهرة استخدام الجنود المؤجورين وقت الحاجة تجعل احتمالية الانتصار وتوقفه على الوفاء بأجور هؤلاء الجنود واختيار اللاتقيين منهم وكذلك عمليات تدريبهم على الأسلحة المختلفة وخاصة لأنه في تلك الفترة بدأت تتطور تلك الأسلحة تطورا كبيرا يمكن اعتباره طملا حاسما في الانتصارات الحربية والبحرية مثل المجانيق الكبيرة للقذف بالكتل الحجرية على أسوار المدن وكذلك الكلبشات الحديدية القاذبة للسفن وكذلك استخدام انمكاسات الأشعة الشمسية على المرايا واستغلال ذلك في اشمال الحراق في السفن وتجمعات العدو .

وثالث العوامل يرجع الى عدم استقرار الأوضاع الداخلية السياسية داخل الدولة القرطاجية فلا يزال هناك النزاع التقليدي بين طبقات المجتمع حول الثروة فبينما يتجه البعض الى الثروة المعتمدة على نتاج الأراضي الزراعية يتجه البعض الآخر الى الكاسب الآتية من التجارة المعتمدة على الأسواق التي يلزمها الإبحار الدائم والاستيراد والتصدير وما يتصل بها من عمليات بيع وشراء . وكذلك هناك رجال الجيش وطبقات الشعب الأخرى . وتنافست بعض هذه الطبقات بل وتنافس بعض القادة حول السيادة السياسية ، مما أدى الى عدم وجود وحدة الرأي السياسي القرطاجي . وقد أثرت هذه المنازعات السياسية الداخلية على العمليات الحربية فكانت من أسباب تمطيل الانتصارات لعدم الموافقة على ارسال الامدادات في الوقت المناسب بسبب هذه المعارضة . وكان لكل جانب حربه من أعضاء مجلس الشيوخ القرطاجي مما يؤدي الى انقسام المجلس وعدم الوصول الى رأى نهائي موحد يصدر إحدى السياسات الممرضة على المجلس . وقد نتج من هذه العوامل الثلاثة عدم نجاح القرطاجيين في احراز الانتصار على الرومان ليس فقط في الحرب البونيقية الأولى بل في الثانية والثالثة .

وقد كانت الفترة الواقعة بين الحربين البونينين الأولى والثانية من الفترات التي تجلت فيها هذه العوامل السالفة الذكر . ففيما يتعلق بخطورة عدم التجانس بين البربر والقرطاجيين والتأخر في دفع الأجور بالنسبة الى الجنود المرتزقة فقد تجلى ذلك عندما اتجه أحد الجنود المرتزقة وهو ماثو Mathon وجمعه أحد الصبيد القارين واسمه سبنديوس Spendius الى دفع نفوس البربر نحو الاحتجاج والثورة ضد القرطاجيين داخل نطاق الدولة القرطاجية ، وأيضاً في المجال القبلي حتى تكون ثورة البربر لها الصفة الجماعية الشاملة مما يساعد على النجاح . ووصلت هذه الثورة الى درجة يتمكن من مهاجمة القرطاجيين واجبارهم على الانعزال داخل أسوار مدنيهم . وتسلم هملاً كرهقة زمام القيادة القرطاجية وتمكن أخيراً من الانتصار وايقظ

هذه الحركة البربرية الانفصالية . ومن أهم الظواهر التي تجدر الإشارة إليها هي أن بعض البربر كانوا لا يزالون يحملون، جانب التمسساون والتجانس مع القرطاجيين وكان على رأسهم نافاراس Navaras وكان ذلك من الأسباب المباشرة في التصجيل بانتصار هملكار برقة .

وكذلك مثال آخر لظاهرة النزاع السياسي الداخلي القرطاجي في تلك الفترة ذلك التنافس بين كل من هانو وهملكار حول الزعامة السياسية في ذلك الوقت ، والذي انتهى بتمكن هملكار برقة الاستحواي على الزعامة القرطاجية . وقد انتهز البربر مرة أخرى هذه الأزمة السياسية الداخلية وحاولوا القيام بحركة حربية ضد القرطاجية ، ونجحوا الى حد كبير فسي تهدد الكيان القرطاجي ووصلت حالة القرطاجيين الى درجة شديدة من السوء وتنت معاصرة الدبر لمدينتهم حتى أن الحاجة الملحة الى الطعام بين الجنود المرتزقة في الجيش القرطاجي قد دفعتهم نحو العودة الس ببعض العادات القبلية الأفرقية في عصور ما قبل التاريخ وهي أكل لحسوم البشر Cannibalism . ولم ينفذ الموقف فير براعة هملكار برقة ، فسي استخدامه وساقط التحايل على البربر حتى سئحت له الفرصة المناسبة والتحكم الكلي في الموقف المرمي وانها هذه المحاولة البربرية واعادة السادة القرطاجية . ومع ذلك فقد استمر القرطاجيون في صراعهم المبرر ضد الرومان محاولين تمويه خسائرهم في الحرب البونية الأولى وذلك بالاتجاه جزيرة أبييريا كمحاولة لاتخاذها نقادة جديدة ضد الرومان والانتقال منها بالذريق البري الى شبه جزيرة ايطاليا .

وكانت المبررات الأولية لاتجاه القرطاجيين الى شبه جزيرة أبييريا تنحصر في الأفراض الاقتصادية واستغلال الخامات النحاسية والفضية الكثافة هناك . ولكن الواقع أن هملكار عندما اتجه الى أسبانيا كان يهدف أيضا الى تحقيق هذه القاعدة العسكرية الجديدة ، فقد عمل على تكوين قوة حربية من العناصر المرتزقة الأيبيرية واستخدام الثروات الناجمة عن استغلال

المحاربان في اجتذاب المتأولين بالانخراط في قواته العسكرية . وكان يبرر هذه التصرفات للرومان على اعتبار كونها تهدف الى استكمال القدرات المالية القرطاجية . للتمكن من دفع التموين المستحق للرومان بعد الحرب البونيقية الأولى .

وبعد وفاة حاكم كارثة سنة ٢٢٨ ق.م . أثناء إحدى الحملات الحربية في أسبانيا تسلم زمام القيادة زدروبال أو كما يسمى صدر بعل . وكان يختلف كلية في شخصيته عن سلفه لأنه كان يفضل الوسائل السلمية بدلا من الحربية في تعامله مع العناصر الأيبيرية . وقد دعم اتجاهه هذا بأن تزوج بائنة أحد الرومان الأيبيريين . وكان لهذه الخطوة أثرها البالغ في تثقل الأيبيريين للسيادة القرطاجية . ومن أهم أعماله أيضا تدعيم السيادة القرطاجية في أسبانيا تأسيس مدينة قرطاجنة أو قرطاجة الجديدة Carthago Nova أو Carthago Nova .

وتد نتج عن ذلك تدمير الرومانيين على اثر زدروبال ميل الأيبيريين للجانب القرطاجي ، ومع ذلك فلم يتفرغ الرومان لمعاودة صراعهم ضد القرطاجيين في أسبانيا بسبب انشغالهم المباشر في صراع آخر في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية مع العناصر الغالية . وحسما لاحتلالية تحالف القرطاجيين مع الغاليين ضد الرومان ، فقد اتجه الأخيرون الى عقد معاهدة مع القرطاجيين سنة ٢٢٦ ق.م . فحوالها السماح للقرطاجيين بالتوسع في شبه جزيرة أيبيريا على ألا يتعدوا نهرا إير وشالا بأية حال من الأحوال . ورغم هذا الاتجاه السلمى للقائد زدروبال فقد قتل على أيدي أحد الأيبيريين .

وتولى زمام القيادة القرطاجية بعده هانيبال العظيم أو كما يسمى أيضا حنبعل Hannibal . وسرعان ما بدأ تطورا جديدا في العلاقات القرطاجية الرومانية بمعنى ذلك الشخصية الشابة القوية الدلوحة باصوار لتحقيق سيادة

القرطاجيين والانتقام من الرومان . وقد عمل هانيبال على تنفيذ قسمة
الذي رجاه به والده ، مملكا برقة وهو أن يعمل على تحقيق الانتصار
وأن يبيض الرومان وينتقم لبلادهم منهم مدى الحياة ما أدى الى نشوب
الحرب البونيه الثانية .

الحرب البونيه الثانية :

تعتبر هذه الحرب حلقة أخرى من حلقات المنافسة الشديدة بين
القوتين القرطاجية والرومانية حول السيادة السياسية والاقتصادية في حوض
البحر الأبيض المتوسط . ولذلك فأسباب هذه الحرب البونيه الثانية التي
امتدت من سنة ٢١٨ ق م . الى سنة ٢٠١ ق م . ترجع في صورتها العامة
الى نفس المواقف المؤدية الى الحربين البونيتين الأولى والثالثة ، ولكن
كانت هناك بعض الأسباب المباشرة في هذا الصدد . وكان ذلك عندما
اتجه هانيبال الى الاستمرار في متابعة تأكيد السيادة القرطاجية داخل
شبه الجزيرة الأيبيرية استكمالاً للحملات التي سبق أن بدأها والده . ولم
يقابل ذلك بحسن الرضا من وجهة النظر الرومانية لأنه يعتبر بمثابة تأكيد
للقاعدة القرطاجية الجديدة في غرب البحر الأبيض المتوسط ، مما يؤثر على
الكيان الروماني الذي خرج من الاطوار الايطالي البحت واتجه نحو السيادة
الرومانية في المنطقة . وقد بدأ الرومان بمحاولة استخدام الوسائل السلمية
الدبلوماسية في هذا الصدد فأرسلوا سنة ٢٢٠ ق م . بعثة الى هانيبال
تهدف الى التفاوض معه كمحاولة للحد من استمرار توسعه في أسبانيا ، ولو
أنها في صورتها المباشرة كانت ترمي الى مساندة مدينة ساجنتوم Saguntum
شمال ترماجينة ، والتي أبدت ميلها نحو الرومان ، ضد النفوذ القرطاجي
الهادف الى التحكم في كافة أرجاء شبه الجزيرة الأيبيرية . ولم يكن من السهل
على القائد هانيبال تقبل وجهة نظر البعثة الرومانية على التو ولذلك رفضها
واتجدد سنة ٢١٦ ق م . الى اقامة الحصار حول هذه المدينة تسهيدا للتحكم
فيها . ومن الأهمية بمكان الإشارة في هذا الصدد الى مثال آخر من أمثلة

اختلاف وجهات النظر بين الساسة القرطاجيين حتى في الأوقات الحرجة ، فقد اتجه هانيبال الى التعرف على وجهة نظر العاصمة القرطاجية في مسألة البعثة الرومانية قبل الاقدام على عمليات حربية ، ولكن الحزب الكامن في قرطاج بقيادة هانو أبدى معارضة على وجهة نظر هانيبال ، وعلى الرغم من ذلك فقد اتجه هانيبال الى تحقيق رأيه محتدا على قوته العسكرية وزعامته وشخصيته القذة وتحكمه في الموقف في هذه القاعدة القرطاجية الجديدة . وكان هانيبال يدرك النتائج المباشرة لتصميمه الأخير ، فاتجه بقواته الى شمال اسبانيا وهر نهر ابدو مغالفا بذلك الاتفاقية مع الرومان ، مما أدى الى نشوب الحرب البونيقية الثانية . والواقع أن القوة القرطاجية البحرية قد ضعفت كثيرا بعد الحرب البونيقية الأولى ، ولم يكن أمام الدولة القرطاجية غير اتباع الخطة المبنية على أساس مهاجمة روما بواسطة الطريق البري بدلا من الطريق البحري ، ولذلك كانت عملية تأسيس المراكز القرطاجية العسكرية في أسبانيا ذات فائدتين احدها اقتصادية والأخرى حربية .

ويمكن للدارس أن يقسم الحرب البونيقية الثانية بين القرطاجيين والرومان الى جبهتين رئيسيتين هما الجبهة الأوروبية والجبهة الأفريقية أو بالأحرى المغربية وفيما يتعلق بالجبهة الأوروبية فقد التحم القرطاجيون في عدد من الممارك الشديدة مع الرومان منذ الخطوة الأولى البادئة بخروج هانيبال وجيشه سنة ٢١٨ ق.م . في اريقة الى شبه جزيرة ايطاليا . ولقد سبق لكل من اليونانيين والرومان تهديد الدولة القرطاجية في عقودارها ، وثبتت خطورة هذه الخطة الحربية وتهديدها المباشر للكمان القرطاجي ولذلك اتجه هانيبال الى تحقيق نفس الخطة في مهاجمته للدولة الرومانية . وكان عامل السرعة من أهم العوامل المؤثرة في الموقف لأن التأخر الزمني فسي تحقيقها يضمن احتمال قيام الرومان بنفس الخطة تجاه القرطاجيين في المغرب ،

وبذلك يفشل هانيبال في عملياته الحربية . وقد أدى ذلك الى تصحيل هانيبال بتنفيذ خطته رغم ما يكتفه الطريق نحو روما من صواب شديد ، وبصفة خاصة جبال الألب والقبائل التي لا تزال على ألبانيتها البرية فسي تلك المنطقة ، هذا بالإضافة الى مقاومة الرومان . ونجح هانيبال في تحقيق خطته ولم يتوان الرومان من محاولة إيقاف هانيبال وجيشه الزاحف فبعثوا بالقتل الروماني سكيبيو P.Cornelius Scipio لكي يقوم بمقاومة هانيبال من ناحية وأيضا لكي ينتهر فرقة طول خطوط مواصالات وتوسيع الحدود ويحاول استقلال ذلك في حرمانه من عمليات الامدادات والتوحيين مما يؤدى الى فشله . ولم يكن هانيبال فن ذوى الخبرة المحدودة بل كانت لديه تجاربه وقد رآته التي سمحت له بالنجاح في تجنب محاولة سكيبيو المألقة بالذكر والافات منها ببراعة . ولا يعنى ذلك عدم تكبد هانيبال أية خسائر مادية أو بشرية فقد كانت صعوبة الطريق وطول المسافة والحالة الجوية من الأسباب التي انهكت قواته من الجنود المرتقة وبصفة خاصة من العناصر الغالية . أما عن موقف سكيبيو بعد فشله في ملاقات هانيبال فقد اضطر الى العودة السى إيطاليا لمقابلته هناك . وقملا تقابلت القوتان في معركة شديدة عند نهر تريبا Tebbia وقد تمكن القرطاجيون فيها من احراز الانتصار ، وكان لهذا الفوز الأول أثره البالغ في هذه المرحلة من الصراع القرطاجى الرومانى . وذلك لأن أحداث الرومان لم يقتصرأ في ذلك الوقت على العناصر القرطاجية بل لقد كانت هناك العناصر الغالية التي كانت تنتهر الوقت المناسب للزحف على روما وانها السيادة الرومانية ، وكذلك كانت هناك بعض العناصر الإيطالية الأخرى مثل العناصر البنية في الجنوب والتي كانت تريد التخلص من الزطمة الرومانية على الوحدة الإيطالية . ولذلك فقد كان انتصار هانيبال على الرومان في شمال إيطاليا حافزا على تشجيع هذه العناصر المعارضة لروما في الاستمرار على اتجاهاتها السياسية بل وتأييد هانيبال في عملياته الحربية .

والواقع أن هذه الظاهرة السياسية من الأهمية بمكان لأنها توضح ايجابية سياسة هانيبال في عملياته الحربية ضد الرومان لأنه حسب وجهة نظره

كان يرمى الى تحقيق الفرقة والانقسام داخل الوحدة الإيطالية تحت الزطامة الرومانية وبذلك يتمكن من قهر روما بعد تفتيتها داخليا ، وكان يحتمل في هذا الصدد على أمل استجابة هذه العناصر الإيطالية الخطية الانغالبية النزعة عنه ولذلك فحتى هذه المرحلة من هذا الصراع الشديد في الجبهة الأروبية من الحرب البونية الثانية يمكن للدرا من اعتبار هانيبال منتصرا في نقطته العربية والسياسية في صراعه مع أنروان . وقد أكد هانيبال خطته هذه بمقدرة اتصالات تحالف مع العناصر الغالبة ضد الرومان تدعيم سياسته هذه ومثال آخر يؤيد سياسته هو الحلاقة سراج الأوسرى الإيطالية الأصل بعد انتصاراته ضد الرومان محاولا بذلك تشجيع هذه العناصر الإيطالية على الانفصال عن سادتهم الرومان ولكن رغم نجاح هذه الخطة فان مآلها في المدى البعيد لم يكن مجديا الى درجة حدوث الانفصال الشامل بين شعوب ولايات الوحدة الإيطالية ضد روما ، ولذلك فخطة هانيبال قد نجحت في بؤرها ولكنها قد فشلت في نهايتها .

وكان هانيبال يستخدم في عملياته العربية في الجبهة الأوروبية تكتيك الكائن والتمويه مما يؤدى اسقاط أعدائه فيها وبذلك يتمكن من الانتصار وقد حدث ذلك في عدة معارك مثل معركة تراسيمينوس *Trasimenus* في إقليم اتروريا وموقعة كنانى *Cannae* قرب ساحل البحر الادرياتيكي جنوبي شرقي إيطاليا . وفي المعركة الأولى نجح هانيبال في الايقاع بقوة القنصل الرومانى فلأمينيوس *Fleminius* في كمين شمال شالينى بحيرة تراسيمينوس بينما كان هانيبال مستغفرا معجبه في الغابات المحيطة ، وانقض على الجيش الرومانى غير المتنبه لهذا الخطر الكامن وأحرز الانتصار على الرومان بعد مفاجئتهم والهجوم عليهم . ومثال آخر لتعايل هانيبال في عملياته العربية حدث في منطقة كامبانيا *Campania* عندما توجه هانيبال الى تسيسير قطيع من الشيران رابلا في ثرونها حطبا مشتتلا أثناء الليل وموجها اياها نحو النعمسكرو الرومانى مما أدى الى احداث الاضرار في معسكرات العدو وانتبهز هانيبال تلك الفرصة وأفلت من مواجهة الرومان .

وتد تد ر د ت السياسة الرومانية بشأن خططها تجاه هانيبال فبينما اتجه بعض القناصل الرومان الى استخدام القوة العسكرية والالتحام مع القرطاجيين فقد اتجه ، البعض الآخر الى الالتزام بالحكمة وتفضيل اوراق المعدو وعدم مجابهته مباشرة الا بعد أن يكون قد انهكته الحملات الحربية ولم يصل الى نتيجة حاسمة ، وفي ذلك الوقت يمكن القضاء عليه . وكان صاحب هذه السياسة الأخيرة عوالدكتاتور ماكسيموس Q. Fabius Maximus . ولكن ذلك لم يحل في النهاية دون حدوث الاضرار المتوقع بين الرومان والقرطاجيين وذلك في عهد القنصلين Q. T. Varro و A. Paulus حيث تقابلت القوتان في معركة كلى وتمكن القرطاجيون أيضا من احرارالانتصار على الرومان في هذه الموقعة الهامة .

وبواجه المؤرخ في هذه المرحلة الحاسمة من الحرب البونيه الثانية موقفا في غاية الدقة فمن وجهة النظر القرطاجية كان هانيبال منتصرا حتى ذلك الوقت على الرومان وكان في امكانه استكمال غذا الانتصار والتحصيرك تجاه العاصمة الرومانية وانها سيادة أهدائه ، ولكن ذلك لم يحدث فغلب الرزم من انتصارات هانيبال فقد فضل الاتجاه نحو الجنوب بدلا من الاتجاه نحو العاصمة الرومانية . ويغلب أن خطة هانيبال هذه تتفق مع سياسته السابقة المعتمدة على بث الفرقة داخل الوطن الايطالى تصهيدا لاهراز النصر النهائي على الرومان . ومن ناحية أخرى لم تكن عملية الاستيلاء على العاصمة الرومانية من السهولة بمكان لأن وسائل التحصين الرومانى كانت متوفرة كما أن القوة القرطاجية بعد عملياتها الحربية المتعددة وبعد خروبا. تبوينها ومواصلاتها عن الوطن القرطاجى أو القاعدة القرطاجية الاسبانية قد جعل امكانية الانتصار على مدينة روما المحصنة غير مضمون النجاح ، ولذلك فضل هانيبال عدم الإقدام على مهاجمة العاصمة الرومانية .

وقد حدثت بعض الاضرار بالنفسية الشديدة في المجتمع الرومانى على اثر هذه الهزائم المتكررة ، ولكن على الرغم من ذلك فلم يفقد الرومان

شبه اعتبرهم وقد رتهم على التحمل فأثبتوا بذلك حقيقة خصالهم البنية على أساس الجلد والقوة والاحتمال ، ولذلك اتجهت روما الى اعادة تجهيز قواتها العسكرية وتحصين العاصمة الرومانية واستكمال المؤسسات الدفعية بصورة عاجلة اذ " هذا الموقف المتأزم .

ومما يؤكده عدم الممثلان هانيبال على اكمال قواته العسكرية في تلك المرحلة من الحرب ، على الرغم من انتصاراته السابقة ، أنه كان في أشد الحاجة الماسة الى المؤن والذخيرة اللازمة لجيشه . ويمكن الاستدلال على ذلك من ثلاثة أحداث هامة اولها بليلة النجدة العسكرية من حكومته القرطاجية وارساله ما جو شقيقه الأصغر الى قرطاج كمحاولة لتدعيم مطالبته هذه المعونة ولكن سبقت الإشارة أنه كان للنزاع الداخلي بين الأحزاب القرطاجية أثره في عدم تحقيق طلب هانيبال بصورة كاملة ، ولكن بدرجته رمزية للغاية . فقد كان هانيبال يهجم القرطاجي المعارضين لايزيد وجهة نظره هانيبال ولذلك لم يحقق له طلبه . ومن ناحية أخرى لم تتحقق أيضا بغد الرغبة في مساعدة قواته من الجبهة الأسبانية لانشغال القنصوات القرطاجية في محاولة تدعيم مركزها هناك ، وخاصة لأن الرومان قد شددوا من مقاومتهم للسيادة القرطاجية في أسبانيا مستخدمين في هذا السبيل القوات البرية والبحرية ومعتمدون أيضا على حلفائهم من المدن الأسبانية وأيضا في ماسيليا Massilia قرب مصب نهر الرون ، بل لقد كانت القوة القرطاجية بقيادة بزنوبال في أسبانيا في حاجة الى الأخرى الى المعونة العسكرية . ولكن على الرغم من ذلك فقد حاول بزنوبال التوجه الى مساعدة شقيقه هانيبال ولكن تفضل الرومان الى هذه الحركة الحربية ونجح القنصل الروماني نبرون G. Nero في انتظاره في الوقت المناسب عند نهسر ميتاوريوس Metaurus في اقليم أومبريا وتكن من الانتصار على بزنوبال بل والتكامل به بدرجته قطيعة وذلك بارسال رأسه الى هانيبال كناية فيه .

أما الحادث الثاني فيمكن ملاحظته في ظاهرة تتعلق بالمقيدة القرطاجية حيث يلعب المؤرخ خلال التاريخ القرطاجي أثناء فترات تأزم المواقف الحربية

وبصفة خاصة بين الجنود المرتزقة في الجيش ، اتجا ههم الى استخدام
 ظاهرة التضحية البشرية تقربا للقوى الالهية وأملا في ساندتها للجيش
 القرطاجي . وقد حدثت هذه العملية في تلك المرحلة الدقيقة من الحرب
 البونوية الثانية ما يبرهنه سيرة أخرى في هذه التفرجة ، وقد استنارها الكاسل
 داخل نطاق الجيش . ويلاحظ الدارس أن هذه التضحية البشرية كانت
 بعناصر قالية ويونانية ربما على أساس كونها ليست من صميم عناصر الجيش
 القرطاجي . ومن ناحية أخرى يمكن القول أنه في هذا الوقت الحاسم لم
 تتقدم القبايل القالية بتحقيق المساندات الحربية الفعالة للقرطاجيين مما
 أدى الى اضطرار غانيبال الى البحث عن هذه المساندة من طرف آخر
 غير دولته القرطاجية أو القواعد القرطاجية في أسبانيا أو حلفائه من العناصر
 القالية بل من قوة جديدة لمعت في المحيط الدولي في تلك الفترة
 وأظهرت عداها الشديد للدولة الرومانية وهي القوة المقدونية وعلى رأسها
 الملك فيليب الخامس ملك مقدونيا . ويمكن اعتبار ذلك يمثل الحادث الثالث
 المؤكد لموقف غانيبال وعدم اقدامه للهجوم المباشر على روما . وينبغي على
 الدارس اعتبار هذه الرغبة المقدونية في التدخل في الشؤون الايطالية
 والصقلية حلقة جديدة من حلقات الصلات اليونانية في غرب البحر الأبيض
 المتوسط . والتي كانت لها فاعليتها السابقة في هذه المنطقة .

ويمكن القول بأن ظاهرة التحالف بين المقدونيين والقرطاجيين لم
 تكن صادقة بمعنى الكلمة ، لأن كلا من المنصرين له مطالبه الخاصة ورغم
 اتفاقهما في عداتهما للرومان . وقد سبقت الإشارة الى مراحل الصراع اليوناني
 القرطاجي ، وليست مقدونيا سوى احدى الدول اليونانية الأصل ، وليس من
 السهل تقبل التحالف الكامل معها . ولم تقف الدولة الرومانية مكتوفة الأيدي
 إزاء هذه المحالقات السياسية بل سرعان ما عملت على تكوين أحلاف يونانية
 أخرى مثل الحلف الآغي والحلف الأيتولى في بلاد اليونان ضد الملك فيليب
 الخامس . وتستمر الدولة الرومانية في العمل على محاربة مقدونيا حتى تتمكن
 في النهاية من إيقاع الهزيمة بها في معركة كينوسكفلاي Cynoscephalae في

الحرب المقدونية الثانية سنة ٢٠٠ ق.م. ، وفي الحرب المقدونية الثالثة غسي
معركة بيدنا Pydna سنة ١٦٨ ق.م. وانتهت الدولة المقدونية على اثر
غزيمتها الأخيرة في الحرب المقدونية الرابعة سنة ١٤٨ ق.م.

وعلى ذلك لم يصل موقف غانيبال المتحرج في جنوب شبه الجزيرة
الايطالية الى خطوة متقدمة نحو الانتصار النهائي بل أدت بوادر الفشل
في عملياته السياسية والحربية تظهر على اثر عدم فعالية المحاللات مع كل من
الغالبيين والمقدونيين . وكذلك واجهت جزيرة صقلية في هذه المرحلة من
الصراع الروماني القرطاجي حلقة من حلقات هذا النزاع ، وذلك عندما تنازعت
الأحزاب السياسية داخل مدينة سيراكوز بين الاتجاه القرطاجي أو الروماني
وذلك على اثر وفاة حاكم سيراكوز وعمال الملك هيرو Hero . وقد حاول كل من
القرطاجيين والرومان تأييد مريديه في صقلية ، وتطير الموقف الى عسكب
شد يد بحرية وبرية بين الطرفين تمكن فيها الرومان من احراز الانتصار
ودخول مدينة سيراكوز سنة (٢١٢ ق.م.

وتعمد الموقف بالنسبة الى غانيبال على اثر هذه التطورات الخطيرة
وأصبح مركزه حرجا في شبه الجزيرة الايطالية فهو في مسعى الحاجة الى المومن
والامدادات ، ولكن يريق هذه المساعدات مشوب بالصعاب ، ولذلك يمكن
اعتبار مصير الحرب البونية الثانية في جبهتها الأوروبية قد بدأ يتحول سمن
جانب الانتصار القرطاجي الى بداية التراجع . فام الرومان في شبه الجزيرة
الايبيرية بعد ذلك الى أن ينحصر أخيرا في الجبهة المغربية .

ولم تكن الدولة القرطاجية تركز طاقتها على الجبهة الايطالية بل تقصد
كانت الجبهة الاسبانية تحتل مكانة رئيسية أيضا في نضال القرطاجيين مع الرومان .
ورغم تردد الدولة القرطاجية في ارسال الامدادات الحربية اللازمة فقد كانت
تضار الى التسهيل بها عندما يتأزم الموقف الى درجة شديدة ، وقد سبقت
ذلك في اسبانيا فأرسلت الدولة القرطاجية قوة حربية بقيادة أغوى غانيبال وعمل

ماجو وعزروبال . وقد نجحت هذه النجدة في إعادة السيادة القرطاجية في الجبهة الاسبانية ولو بصورة مؤقتة ، لأنه سرعان ما تغير ميزان القوى مرة أخرى على اثر بروز شخصية رومانية قوية كانت لها غالبيتها الحاسمة في اعادة السيادة الرومانية الى الجبهة الأسبانية واجلاء القرطاجيين عنها ، صاحب هذه الشخصية عو كورنيليوس سكيبيو أو كما يسمى أيضا شيبوس P. Cornelius Scipio وقد أطلق عليه أيضا الاغريق *Africanus* لأنه كان صاحب الغلبة الرومانية الرامية الى غزو المغرب وانها السيادة القرطاجية فيه . فقد تغلبن سكيبيو الى أوشاغ القوات القرطاجية في الجبهة الأسبانية واستخدم اسلوب المباغتة في الحرب ونجح في هذا السبيل . ولم يتمكن القائد القرطاجي عزروبال برقة ولا القائد القرطاجي الآخر عزروبال بن جرجو من الصمود أمام سكيبيو ما أدى الى انسحاب القرطاجيين من الجبهة الاسبانية وفقد انهم قواعد هم الاسبانية وعلى رأسها مدينة قرطاجنة التي خلدت سيادتهم في هذه المنطقة . وقد ازداد وقف هانيبال تعرجا على اثر هذه الهزيمة وأصبح محصورا في شبه الجزيرة الإيطالية بعد أن انقطعت خطوط مواصلاته البرية واشتدت عليه عمليات الحصار البحري . ولم يقتصر الموقف عند هذا الحد بل لقد اتجه سكيبيو الى خطة جريئة خطيرة وهي نقل مكان المعركة من الأرض الإيطالية الى الأرض المغربية وذلك رغم ما تنبأ بالهزيمة وقواته الى الجلاء عن شبه الجزيرة الإيطالية في أسرع وقت ممكن للقيام بالقطع عن وطنهم . وهكذا تلورت الحوادث الحربية والسياسية تطورا مختلفا عن بدايتها وأصبح الموقف أكثر وضوحا نحو انتصار الرومان في هذه الحرب الهونية الثانية .

وبذلك بدأت الجبهة الأفريقية أو بالأحرى المغربية في هذه الحرب ولم تكن الموافقة على فتح هذه الجبهة باجماع السادة أعضاء مجلس الشيوخ الروماني لأنه قد ظهرت بعض الاعتراضات داخل اجتماعات هذا المجلس على أساس ابداء الرغبة في التخلص من هانيبال وجيشه أولا قبل المبادأة بفتح ميدان جديد للحرب ، وذلك لاحتلال انتهاز هانيبال ارسال القوات الرومانية التي

الجبهة المغربية والقيام بعملية انقضاء على العاصمة الرومانية . ولكن هذا الرأي لم يقابل بالتأييد لأن هانيبال كان في موقف في غاية الحرج لا يسمح له باتخاذ هذه الخطوة . وما يؤيد ذلك أنه بمجرد فتح الجبهة المغربية سرعان ما استدعت الدولة القرطاجية للقيام به ، وراى ذلك طاع مسن الوطن . وكان انتخاب سكيبيو قنصلا خطوة فعالة نحو تحقيق وجهة نظره السابقة الذكر . وقد قابلت الدولة القرطاجية هذا القرار الرومانى بانزواج شديد ولم يكن من السهل على قرطاج استجداء الصلح والسلام في هذا الموقف الدقيق ولذلك قررت الدولة القرطاجية ارسال حملة حربية السى الأرض الرومانية بقيادة ماجوء ولكن هذه الخطوة لم تؤد فاعليتها فسي اضما ف حزيمة الرومان نحو تحقيق خطتهم الجديدة وفتح الجبهة المغربية في صراعهم مع القرطاجيين .

وقبل الاحاطة بهذا الصدام الجديد بين الطرفين على أرض المغرب تنهض الإشارة مرة أخرى الى أهمية القوة البربرية في المغرب . لقد وصلت تلك القوة الى درجة عامة في اقرار الاوضاع السياسية والاقتصادية في تاريخ المغرب القديم في تلك الفترة . فقد تمكنت هذه العناصر البربرية من تكوين مملكة مستقلة لحد كبير تحاول الدخول في ممرات النزاع السياسى بالمغرب والخروج منه محرزة استقلالها الكامل ، ولو كان ذلك على حساب أحد الطرفين القرطاجيين أو الرومان . ولذلك كان من الطبيعي تدخل هذه القوة البربرية في صميم هذا الصراع . وقد حاول كل من القرطاجيين والرومان استئالة البربر نحوهم كسبا لتأييدهم المادى والمعنوى من ناحية وابحاداً لقاومتهم من ناحية أخرى . وقد بادى القرطاجيون اتخاذ هذه الخطوة بالتحالف مع سيفاكس Syphax رقيب سلكة مازيسبله Massaesyle وذلك على الرغم من أن البربر بوجه عام كانوا متقلبين الى غابات كل من القرطاجيين والرومان مع ذلك فقد قبلوا هذا التحالف على أساس المكانية اكتساب بعض الفوائد مسن وراءه . وقد دعم القرطاجيون هذا التحالف مع البربر بالزواج السياسى وذلك عند ما قبل سيفاكس الزواج من سوفونسبه Sophonisbe أو صفان بمل بنست

عزاد رومال بن جرجوس . وعند ما فشلت محاولات الرومان للتحالف مع سيفاكس
أولملى الأقل اتفاق تحالفه مع القرطاجيين فقد اتجهوا الى أحد الرومسا
البربر الآخرين وبموا لاغليد أى الرقيس أو الملك ماسينسا رئيس دولسية
ماسيله Masayli ، ويحتبر ماسينسا من أهم الشخصيات البربرية
التي نجحت في تحقيق الكهان البربري المستقل في المغرب ، بل لقد تمكن
من توسيع أرجاء مملكته فشملت المنطقة الداخلية الممتدة من ليبيا حتى
المحيط الألسى في أوج سيادتها متضمنة نوميديا الشرقية والغربية أو كما
أطلق عليها ماسيلة ولازيسله . وكذا لك دعم هذه السيادة بحضارة بربرية
متأثرة ببعض المورثات القرطاجية مثل اللغة البونية والخلط البونى الجديد
وكذا لك ببعض المورثات الدينية التي تراجية اليونانية الأصل وذلك بالإضافة
الى نشر المذنية المستقرة بين أرجاء القبائل البربرية التي أنهت بصورة
حاسمة في تلك الفترة حياتها القبلية البحتة واتجهت الى الحياة الحضريية
وهذا لك انقسم البربر الى فرقتين أولهما بولسا سيفاكس في الجانب
القرطاجيين والآخر وهو ماسينسا في جانب الرومان . وحقيقة انقسام البربر
هذه كانت من أهم أسباب تأخر وحدتهم السياسية وتكوين دولة مستقلة .

وتمكن القنصل الرومانى سكيبو في تنفيذ خطته العسكرية في الجبهة
الافريقية في ربيع سنة ٢٠٤ ق م . عند ما نجح في انزال قواته في منطقة أوتيكا
وبذلك فتح الرومان هذا الميدان الحرسى الجديد مما اضطر القرطاجيين
الى المبادرة بتخصيص قواتهم العسكرية للدفاع عن قرطاج وأصبح من المستحيل
اسداء المعاونة والامدادات الى مانيبال في شبه الجزيرة الايطالية ، كما
أصبح من المعتم استدعاء مانيبال الى قرطاج لمواجهة الموقف .

وقد حدثت في تلك الأثناء حادثة عامة لها مضارعا فعلى الرغم من
تحالف سيفاكس مع القرطاجيين بل وارتباطه معهم بصلة النسب فقد عرض
اللدخل بين القرطاجيين والرومان في مفاوضات تهدف الى محاولة انهاء هذه

الحرب قبل تطوره الى مراحل أكثر خطرا . وهذا الموقف يؤكده مفسرة أخرى عدم تمسك البربر قلبا وقالباً بفهم مع القرطاجيين أو الرومان بل كانوا في حقيقة الأمر يرفضون في التخلص منهما . ومن ناحية أخرى لم يكن من السهل على القائد الروماني سكيبو بعد وصوله فعلا الى أرض المنحرب وتحالفه مع ماسينسا الدخول في عملية تتالح مع القرطاجيين في ذلك الوقت لأنه من وجهة النظر الرومانية كان الموقف في جانبهم ولا انتصار على وشك الوقوع ، ولكن مع ذلك فلم يمانع كلا الطرفين بالتظاهر بالتنازع كسبا للوقت الذي يمكن استغلاله في تدعيم الاستعدادات العسكرية وأيضا ككشف لظروف الطرف الآخر الى أن يهين الوقت المناسب للالتحام الفعلي بينهما . ولذلك تخللت هذه الفترة من الحرب في الجبهة الأفريقية بعض الهلل المستفلة لظرف التمهيد للحرب في سبيل التعرف على استعدادات العدو والتأثير على حالته النفسية مما يكون نتاجه في المفاوضات بين الجانبين . ومثال ذلك تلك اللعبة الخفية التي أثارها سكيبو عندما قام بإشغال النيران سرا في قاعدة البربر الموالين للقرطاجيين مما أدى الى إلحاق الضرر بالبلخ بهم والتأثير على نفسياتهم وموالاهم للقرطاجيين ولكن بهذه المفاوضات بين الطرفين لمن تسفر عن اتفاق وبدأ كل من الرومان والقرطاجيين في الاستعداد النهائي نحو المعركة المنتظرة بينهما . ولذلك اتجه سكيبو الى منطقة تونس ونجح في إحراز الانتصار على القرطاجيين وبدأ يهدد العاصمة القرطاجية وقد أفلحت الخطة الرومانية في التأثير على نفسه البربر الموالين للقرطاجيين ومن ناحية أخرى تشجيع ماسينسا وقواته البربرية على الأقدام نحو انقربا بينهم وحلفائهم من بربر سيتاكس . وقد ماسينسا من الايقاع بسيتاكس ولا انتقام منه ومن زوجته القرطاجية صوفو نيسيه أو عاقان بحل ولكن الأخيرة قد تأثرت لنفسها ووالدها وفضلت انهاء حياتها بالانتحار بدلا من الحياة مع أعدائها من بربر ماسينسا والرومان . وكان لهذه الحادثة أثرا بالبلخ في نفوس القرطاجيين الذين أصبحوا منفردين بأنفسهم دون حلفاء محبهم في عزاءهم ضد الرومان وحلفائهم من البربر ما زاد من أعبائهم الحربية في هذا الموقف الحرج .

ووصل هانيبال إلى غرلماج وعمومه على ذلك بعد فشله في تحقيق الانتصار الذي كان قاب قوسين أو أدنى على الرومان . وقد ظهرت بعض بوادر احتمالية السلام على أساس التفاوض بين الطرفين لأن الأزمسة القرطاجية في حربها الطويلة مع الرومان قد وصلت إلى ذروتها مما يحتم الرغبة في المطالبة بانتهاء هذه الحرب . ولكن سكيبو لم يكن ليوافق على ذلك دون اشتراطات قاسية تنهى السيادة القرطاجية في مجال البحر الأبيض المتوسط وأيضا في المجال المنهني بصورة مذلة للسيادة القرطاجية التي كانت في بداية هذه الحرب صاحبة لواء الانتصار ، ولذلك فإن امكانية عقد اتفاقية سلام بين القرطاجيين والرومان قد أصبحت في نطاق الاستحالة .

وتقابل الجيوشان القرطاجي بقيادة هانيبال والروماني بقيادة سكيبو في معركة حاسمة هي معركة زاما Zama سنة ٢٠٢ ق.م . ويطلق عليها أيضا جامة ويحدد ها ورنجتون بأنها قريبة من ناراجرا Naragara وهي ساقية سيدى يوسف ، يحدد مكانها صفر بأنها " قرب الضريح القائم بقصر الجوال الزوامل وفي أعلى نقطة من الممر المفتوح بين جبل ماصوج شطالا والجبال الملاصقة لصرد مكثر من جهته الشمالية جنوبا والذي يصل بين سهل سلباته وسهل السرس " . وقد تمكن الرومان في هذه المعركة الهامة من احراز الانتصار على القرطاجيين رغم استخدام الأخيرين لكافة قواتهم الحربية . واضطر هانيبال إلى طلب السلام وعقد معاهدة الصلح مع الرومان . وأجابه الرومان إلى طلبه رغم استلامهم في ذلك الوقت الاستمرار في الحرب ولكن كانت الجهود الضخمة التي بذلها الطرفان تتطلب ذلك .

ولقد كانت هذه المعاهدة سنة ٢٠١ ق.م . خاتمة لهذه الحرب البونيقية الثانية وحتت نصوصها الكثير من عناصر الاندال والمهانة للقرطاجيين ففقد تعهدوا بتحمل الالتزامات المالية الخاصة بدفع تكاليف القوات الرومانية وكذلك التحويلات المستحقة من الغنائم ، والمساعدات اللازمة في حالة الحاجة إليها ، هذا بالإضافة إلى تحديد سفن القوات القرطاجية البحرية بحشرة سفن لا فيسر ،

مع عدم السماح لها بالدخول في حرب داخلية أو خارجية بدون موافقة المشاة الرومان . ومن أهم اشتراطات المعاهدة السماح لماسينسا امتلاك الأراضي التي قيل أنها كانت أصلاً في حوزته مما أدى إلى تحديد قطاع قرطاج بمساحة ترجع بها إلى بداية مرحلة استقرار الفينيقيين في المغرب ، وبذلك تخير ميزان القوى في حوض البحر الأبيض المتوسط وأصبحت قرطاج دولة معدودة الكيان السياسي والحري وأصبحت روما القوة الأولى في المنطقة بأسرها . أما عن موقف القائد العظيم هانيبال بعد ذلك الهزيمة فقد أصبح محفوقاً بالمخاطر نظراً لنقم بعض الساسة القرطاجيين عليه واعتباره مسئولاً عن هذا الفشل رغم جهود الجسارة وإصلاحاته الداخلية في الفترة الوجيزة التالية مباشرة للحرب . ولذلك أثر الفروج من قرطاج والاستمرار في طريق محاربة الرومان ولكن في جبهة مشرقية بعد أن حاربهم في الجبهة المغربية . وقد التحق بقوات الملك السوري أنطيوخوس الثالث ثم اتجه بعد ذلك إلى بيشنيا وآثر أخيراً انهاء حياته بنفسه بالانتحار وتناول السم سنة ١٨٣ ق م . وبذلك انتهت حياة هذا القائد المخامر بعد هذا الجهد الضئيل في سهل بلاد ، ومنع ذلك فقد ظل الصراع القرطاجي الروماني كامناً ومكبوتاً إلى أن حان الوقت لاستئنافه مرة ثالثة وأخيراً في الحرب البونيقية الثالثة .

وفي الفترة الواقعة بين الحربين البونيقيتين الثانية والثالثة حاولت الدولة القرطاجية بكافة الوسائل استعادة مكانتها رغم ثقل الأعباء المالية والاقتصادية والسياسية المستولدة عنها ، وقد استغرق ذلك بعض الوقت ومن ناحية أخرى انتهز الرومان فرصة انهماكهم لهذه الحرب الطويلة وسدوا في القيام ببعض الإصلاحات الداخلية الرومانية وكذلك اتجهوا إلى تخليص روما من بقية المعارضات التي ظهرت في المشرق حتى تستكمل سياستها على كافة أرجاء حوض البحر الأبيض المتوسط . فقد قام الرومان بحملة الملك السوري أنطيوخوس الثالث ونجحوا في الانتصار عليه في معركة

مجنيسيا Magnesia في آسيا الصغرى سنة ١٩٠ م. وكذلك وادوا سيادتهم الكاملة على شبه الجزيرة الأيبانية وتمكنوا من انتهاء ثورة القباقل المحلية وبذلك تمهد الطريق نحو تأسيس الامبراطورية الرومانية . ومن أهم أحداث الفترة بين الحربين ، نجاح ماسينسا في انتهاز فرصة ضعف القرطاجيين وتحقيق دولته البربرية . ولكنه لم يكتف بهذا القدر من السيادة بل كل يباحص أيضا في التوسع على حساب بقية أملاك الدولة القرطاجية . ولما كان نص المهادنة الموقعة بين القرطاجيين والرومان يحرم الأول من القيام بالحرب دون إذن الرومان فلم يكن أمام القرطاجيين غير استجداء الرومان بمصد التدخل ، لا يثاق ماسينسا من استمراره في الاستيلاء على المواقع القرطاجية . وكان ماسينسا يحمل على التظاهر الكاذب بالتحالف مع الرومان ، وفي نفس الوقت يوفر صدورهم بالكراهية الشديدة ضد القرطاجيين بل ويصل في هذا الصدد إلى المجاهرة بلاتهامهم باستحالة نشاطهم المصداق للرومان . ' تكن استجابة الرومان لهذا الموضوع طائلة بل كان يتجسد فيها التمييز الواضح تجاه البربر ويظهر ذلك في بحثهم التي أرسلوها إلى قرطاج برئاسة كانو M. Porcius Cato لمحاولة حسم النزاع بين البربر والقرطاجيين . وقد أنهت هذه البعثة مهمتها بالبحث على ضرورة افناء الدولة القرطاجية حسب لهذا النزاع المستمر معها . وتبين حرفة أقوال كاتو منذ الرأي عند ما يقول " في رأي أن قرطاج يجذب أن تدبر . وام يكن الرومان إلى ثقة تامة بالبربر رغم اتضاح ملهم نعوهم لأنهم كانوا يتخوفون من ازدياد نفوذ البربر وبذلك تظهر قوة جديدة في المغرب تعزل القرطاجيين وتهدد الدولة الرومانية ولذلك تمددت الآراء بين الرومان بمصد ، الاجراء النهائي الذي ينبغي اتخاذه مع البربر والقرطاجيين في منازعاتهم الأخيرة .

وقد حاول البربر مهاجمتهم للأراضي الخاضعة للنفوذ القرطاجي وذلك على اثر حادثة معينة تتلخص في أن ماسينسا قد أرسل كلا من ماسينسا وفولوسية ابنه في بعثة إلى قرطاج ، ولكن كانت المهادنة القرطاجية للبربر قد وصلت إلى

أبعد مدى على اثر تحرشاتهم واستفزازاتهم على حساب القرطاجيين ،
ولذلك قرر كرتالو Carthalo منهم من دخول مدينة قرطاج
بل لقد اعتدى على بعض أبنائهم . وكانت هذه الحادثة عاملا مأساويا
في استئناف الحروب بين كل من القرطاجيين والبربر . وعلى الرغم من
كبر سن الاغليد ما سبنا حيث كان قد بلغ حوالي الثامنة والثمانين من
عمره فقد حمل لواء قيادة الجيش البربري في هذه الحرب . أما رئاسة
الجيش القرطاجي فقد كانت للقائد بزر، روما . وقد تمكن القرطاجيون
من الانتصار في بداية الحرب ولكن المواصلات التقليدية في الجيوش
القرطاجي مثل عدم اتباع وسائل النظافة اللازمة قد أدت الى عدم تمكن
القرطاجيين من متابعة هذه الحرب بنفس القوة كبدائها . ولم يكن موقف
الرومان موقف المستطلع للأحداث بل لقد كان عزمهم على اغتاء الدولة
القرطاجية لأمرأ فيه ، ولكن كانت عمليات الاستعداد سائرة في سبيل
الاستكمال والانتظار للوقت المناسب . وقد شعرت الدولة القرطاجية
بخطورة هذا الموقف وحاولت تجنب تدخل الرومان في هذه الأمور
السترة بين القرطاجيين والبربر ولكن دون جدوى ، فقد كان تصميم الرومان
في غدا الصدد نهائيا . وقد وصلت حالة القرطاجيين النفسية الى درجة
ضيق فادية من سوء ، ويتضح ذلك عندما دأب منهم الرومان احضار ثلاثية
رهينة ، وكذلك تسليم كافة الأسلحة القرطاجية البرية والبحرية نظير ايقاف
التهديد بالتدخل العسكري في شؤون حسم النزاع بين القرطاجيين والبربر .
وقد نصت اشتراطات الرومان في هذا الشأن أن تكون تلك الرهائن من
الأهل من أبناء أعضاء مجلس الشيوخ القرطاجي . ومع كل تلك العبالغة
في معاملة الرومان للقرطاجيين فقد اضطر القرطاجيون الى تحقيق هذه
المطالب رغم هذابها . ولكن الرومان من ناحية أخرى عندما تبينوا حقيقة
تخرج القرطاجيين استمروا في مبالغاتهم في مطالبتهم بأن أبدا و رغبتهم بأن
أبدا و رغبتهم بأن يترك القرطاجيون مدينة قرطاج كلية وينتقلوا الى مكان آخر
ونكن ، هذا التعمت الشديد من الجانب الروماني لم يكن لهيطية القرطاجيون
بأي شئ كان . ولذلك سرعان ما طارت نفوس القرطاجيين واشتدت عزيمتهم

وصمموا على مواصلة الحرب مع الرومان ، وبذلك استؤنفت العمليات الحربية مرة أخرى ، وتعرف بالحرب البونوية الثالثة .

الحرب البونوية الثالثة :

استمرت هذه الحرب من سنة ١٤٩ م. إلى سنة ١٤٦ م. كافتح فيها القرطاجيون عن حياتهم ومصيرهم في شكل بطولي منقطع النظير . وتظهر قد رأتهم القاذرة عند قيامهم بعملية الاستعداد لهذه الحرب . وعلى الرغم من أنهم كانوا قد سلموا أسلحتهم للرومان ، ظنهم لم يأسوا بل سرطوا ما ضاعفوا جهودهم وأعادوا بناء ماقتهم الحربية مرة أخرى وبذلوا جهودا فريدة في غذا الصدد الى درجة أن النساء قد سمحن باستخدام شعورهن كعبال في بعض مستلزمات الأسلحة . وقد تسلم زمام القيادة القرطاجية القائد غزدروبال أما القائد الروماني فكان سكيبيو . وبلا حظ الدارس أن المدن الخاضعة للسيادة القرطاجية لم تكن جميعها في صف القرطاجيين بل انحاز بعضها الى جانب البرومانيين وعلى رأسها مدينة سوسة كما استمرت مجموعة أخرى الى جانب القرطاجيين وعلى رأسها بنزرت . وبدأت القوات القرطاجية والرومانية في الاشتباك المسكري . وقد كان لعمليات التحصين القرطاجي أثرها البالغ في الدفاع عن مدينة قرطاج ، ومثال ذلك الخنادق والحيلان القوية التي كانت تستخدم كحواجز دفاعية ، وعلى الرغم من نجاح الرومان في اقتحام أحد جوانب المدينة فقد نجح القرطاجيون في صد هم ولم يتوانوا عن الانتقام منهم أشد انتقام . ومن الأحداث الهامة التي وقعت أثناء الحرب البونوية الثالثة وفاة الاغليد ماسينسا سنة ١٤٨ م. لأنه قد ترتب على ذلك عودة البربر الى مرحلة أخرى من الفرقة السياسية بعد أن نجح ماسينسا الى حد كبير في جمع شملهم . وما يؤكده توثيق صلات الرومان بالبربر ولما لهم لماسينسا في ذلك الوقت تدخل القائد الروماني سكيبيو في هذه الشؤون البربرية الداخلية وحضور عملية تقسيم سلطات المملكة البربرية بين أبناء ماسينسا الثلاثة وهم ميكييسا ومستمنيميل وغولوسسة ولكن سرعان ما انفرد ميكييسا بهذه المملكة . وتأكيذا لاستمرار تحالف الرومان

مع البربر أصحاب سكيبيو معه فولوسة ليعاونه في عملياته الحربية ضد القرطاجيين ، وأيضا لكي يؤمن البربر على علاقاتهم الطيبة مع الرومان . ولكن ذلك لم يحل دون محاولة القرطاجيين اجتذاب مجموعات أخرى من البربر الى جانبهم في هذا الصراع الدامي بينهم وبين الرومان وبربر لا سيكس وكانت هذه المجموعات الجديدة في أقصى المغرب أي القبائل البربرية الموريطانية . ولكن ذلك لم يؤد الى نتيجة حاسمة لأن الرومان قد نجحوا في توليد صلاتهم بالبربر وتقوية روح الكراهية بينهم ضد القرطاجيين ، على الأقل في المجال الحربي ، وبذلك نجحوا في نشر الفكرة بينهم . ولا يحنس ذلك استمرار هذه الصلات المتوترة بين القرطاجيين والبربر ، بل لقد كان للجانب الفكري اعتبار خاص بين الطرفين . فعلى الرغم من استمرار العمليات الحربية الطويلة بينهم ، وندحار القرطاجيين كلية في نهاية الحرب البونيقية الثالثة فقد تقبل البربر تركة القرطاجيين الفكرية المسجلة في بقايا مكتبتهم الحاسوبية لفكرهم وأدبهم وتراثهم في ذلك الوقت . وكان لذلك أثره في استمرار الصلة الفكرية بينهم . ومن أهم مظاهر ذلك أيضا استمرار اللغة البونيقية الجديدة وكذلك التأثير بالمعتقد القرطاجية الى حد كبير .

ولم تكن عملية الاستيلاء على قرطاج العاصمة بالمهمة السهلة أمام القوات الرومانية وذلك لمدة أسباب منها شدة التحصينات المحيطة بالعاصمة القرطاجية ، وكذلك وجود منفذ بحري تستطيع بواسطته مواصلة مقاومتها للغزاة . غذا بالاضافة الى صلابة القرطاجيين واستماتتهم في سبيل المحافظة على مدونتهم الدالة . ولم يحل ذلك دون نجاح الرومان من اقتحام أحد أبوابها والنقود منه الى المدينة ، وبذلك تمكنوا من أحداث أولى الثغرات في دفاع التحصينات القرطاجية مما أدى الى تحكمهم بعد ذلك في المدينة . ولكن واجهتهم مشكلة المنفذ البحري الذي كان يعتبر طريقا لتزويد المدينة ، ولذلك اتجه الرومان الى التحكم في هذا المرسى ، ولكن القرطاجيين بمزيمتهم القوية قد عملوا على شق منفذ يؤدى الى البحر لكي يستخدم عوضا عن المرسى الذي تحكم فيه الرومان . وكذلك ظهرت عزيمتهم القوية في استغلال كافة امكاناتهم

المادية والبشرية ذكورا واناثا . اعتمادا تواتهم البحرية ستخدمين
نجاههم في شق هذا المعن الجديد لاعادة مواصلاتهم البحرية مرة
أخرى . ولكن سرعان ما تنبه الرومان الى هذه الخطة القرطاجية الأخيرة
وتآموا بمهاجمتها وبذلك سدا جميع منافذ المدينة المؤدية الى الخارج
وكان اقتحام المدينة بعد ذلك . كما أنه كان لظاهرة الحصار الشديدة
بذلك وتغل مدخل المدينة أثرهما البالغ ليس فقط . في الناحية النفسية
للقرطاجيين بل أيضا في الجانب الحيوى حيث لم تعد التوينات والأمدادات
الداخلية تفي بمطالبهم مما أدى الى اضعاف طاقتهم في عمليات مقاومتهم
الشديدة للرومان . وفي سنة ١٤٦ ق . م . تقدم سكيبيو بقواته محاولا اخضاع
المدينة القرطاجية كلية . ووصل دفاع القرطاجيين من أنفسهم الى درجة
تحصنهم في منازلهم وكذلك في قلعة البرصة Byrsa وكانت المعارك تدور
بين المنازل والمراكب ، وظهرت فيها جوانب الشدة والقسوة المتناهية من
البارزين ، فقد كان كل منهما يدافع عن مصيره كما استخدم سكيبيو أيضا
الدناتق والعميدان وأبراجها وأشعال النيران في عملياته الحربية ضد قرطاج
وحدثت بعض الأحداث الخاصة التي تلقى ضوءا على مدى مشاعر القرطاجيين
في مصيرهم وقت أزميتهم . مثال ذلك موقف زوجة القائد القرطاجى هردروبال
التي لم تقبل تصرف زوجها في اضطراره الى اللجوء الى الاستسلام القاسد
الرومانى سكيبيو وفضلت الانتحار مع أولادها في وسيل النيران المشتعلة بدلا
من الحياة بذلة مع الرومان المنتصرين . ولم يكتف الرومان بانتصارهم النهائي
بذلك بل قام الجنود بالنسب والنهب في هذه المدينة الخالدة وأشعال النيران
نهبها وحرشها ونذر الملح في أرضها حتى لا تصلح الحياة فيها مرة أخرى .

وتد سجل المؤرخ أن سكيبيو بعد تدبيره مدينة قرطاج "ألقى نظرة
الى المدينة التي ازدهرت أكثر من سبعمائة سنة منذ انشائها والتي حكمت مناطق
كثيرا جزرا وبحارا وكانت ثرية في الصلاح والأسماعيل والفيلة واللؤلؤ مشتملا
الأسيرات العظمى بل والتي كانتهم في الاقدام والشجاعة الطائفة ، نرى أنها

جبرت من كافة أسلحتها وسفنها تحت عددت لحدسار شديد ومجاعة
لفترة ثلاث سنوات ووصلت الآن الى نهايتها بالتد مير الكلى ، ويقال
أن سكيبيو بعد ذلك قد بنى ورثا مآل مدوه . وبعد ذكر الحقيقة
أن الأقران والمدن والأسم والأموال لوريات نهايتها محتوية وكذلك
نصيب الروادة العظيمة ونهاية الامبراطوريات الآشورية والاميد بنة
والظرسية والتد مير الأغير للامبراطورية المقدونية الكبيرة ، أشار بقصد
أولا شعوريا الى كلمات عكتور من هومر " سياش اليوم الذي ستسقل
فيه الروادة المقدسة وكذلك الملك بريام وجميع رجاله المسلحين معه " .
وعند ما سأله انموذج هوليبوس Polybius والذي كان معه ماذا
يقصد التفت اليه قائلا ، " هذه لحظة عظيمة باهليلبوس ولكن ان الخوف
بتملكنى أن نفس النصب سياش لوطش في يوم من الأيام " .

ومكذلك انتهت الحرب البونية الثالثة بتد مير العاصمة قرطاج ،
وبذلك توقفت هذه القوة السياسية الهامة في المغرب وحوض البحر
الابيض المتوسط وانفردت القوة الرومانية بالسيادة الكاملة على هذه
المنطقة ، وسعد ذلك الى تحقيق الامبراطورية الرومانية لبحر في أرجاء
المغرب النهر بل في كافة أقاليم حوض البحر الابيض المتوسط الشرقية
والغربية .

الفصل الخامس

تقييم موجز لتاريخ المغرب في العصرين الفينيقي والقرطاجي

لكي يقيم المؤرخ المادة التاريخية يلزمه بحيرة لمهنية مقارنة . لهذا
المادة بما يصاد لها في الأقاليم المصاصرة ، على أساس موضوعي بحث ، كما أن
هذا التقييم يتفاوت حسب المدرسة التاريخية التي يتجه إليها المؤرخ ، وكذلك
وجهته في التفسير التاريخي . وتاريخ المغرب فريد من نوعه في هذا الصدد
لأنه يمثل تاريخ مجموعة من العناصر المتشعبة في أصولها البشرية إلى طائفة
الشعوب واللغات العامة المختلطة ببعض العناصر الشمالية ولاسيما
الزنجية ، وقد استجابت إلى العناصر السامية المهاجرة إلى المغرب وتجهت
في اكتساب الكثير من التجارب الجديدة عليها ودفع عجلة التطور الحضاري
والسياسي المغربي القديم نحو الانتقال إلى بداية العصر التاريخي ، وإلى
محاولة إيجاد الكيان السياسي المستقل بالمغرب . ولم تكن هذه العملية
التاريخية التي مر بها شعب المغرب القديم بالمهمة السهلة لوجود الفوارق
الكثيرة في المجالات الحضارية والبشرية والفكرية ولكن على الرغم من ذلك
فسرمان ما تأقلم النهر والوادي حيثهم بحيرة تدريجية نحو المدنية . كما كان
للصحاب الجغرافية الشديدة التي كانت تعطل من عملية الاتصال بين المراكز
الحضارية الوافدة والمحلية أثرها الواضح . فظاهرة التحول الحضاري من
المرحلة البدوية إلى المرحلة المدنية تستوجب وقتا طويلا تتقبل فيه هذه
الشعوب المتنقلة من مكان إلى آخر والمستقرة نسبيا بصورة غير دائمة في أماكنها ،
الناذج المتفوقة عليها بسلام . ولذلك يتفق على المؤرخ إقرار حقيقة عامة
وعلى أن الإنسان في المغرب القديم قد نجح في إجراء عملية التحول التاريخي
من العصر الحجري القديم الأعلى إلى مرحلة الاستقرار والزراعة وإنشاء القرى
ونمو المجتمعات الحضارية البربرية إلى درجة وصولها إلى ولايات وممالك تحرب
نهاية العصر القرطاجي . ويسجل المؤرخ أيضا في هذا الصدد عدم تعرض

الفينيقيين الى حرب مباشرة من طرف البربر في أثناء عملية تحويلهم التاريخى هذه ما جعل هذا التحول بمثابة نقلة لمهيمية في تاريخ الانسان في هذه المنطقة على أيدي العناصر الفينيقية . قديما عصر التاريخ اذن في المغرب لم تكن مثل المشرق ما أدى الى طول فترة التطور الموعود الى ما بعد تلك المرحلة . ويختلف ذلك كسل الاختلاف من التاريخ المصرى القديم أو التاريخ السومرى في جنوب العراق القديم أو تاريخ سوريا أو فلسطين أو ايران حيث يلاحظ الدارس نموا لمهيميا وتدرجها محليا توصل الانسان في بدايته الى الانتقال الى العصر التاريخى ، فلم تكن تلك البداية على أيدي عناصر مستقرة وافدة على العناصر المحلية ، ما يجعل تاريخ المغرب القديم متميزا بهذه الظاهرة الخاصة من تاريخ المشرق القديم .

ملاحظة أخرى تستوجب الانتباه في تاريخ المغرب القديم هي سرعة انبثاقها من المجال المحلى المغربى للبحث الى الامار الدولى الاخرى وفى حوض البحر الأبيض المتوسط . ويلاحظ الدارس أن البربر رغم تحركاتهم البشرية والحضارية داخل المغرب بصورة مستمرة فإن استقرارهم على السواحل كان محدودا ، وعندما جاء الفينيقيون تكتلوا من استكمال هذا الجانب في تاريخ المغرب القديم باستقرارهم على الساحل المغربى وقامتهم المراكز التجارية وازدياد نشاطهم البحرى في حوض البحر الأبيض المتوسط وطلسى الساحل الاfrican الغربى بل وساحل أوروبا الغربى أيضا بالانخراط السياسى نشاطهم الداخلى . ولكن هذه الصفة الدولية النسبية في التاريخ السياسى والحضارى رغم ما اكتشفته من صماب شديدة في الصراع مع اليونانيين والرومان فقد اكتسب المغرب منها الكثير من الأنماط الحضارية المعاصرة في ذلك الوقت ما ساعد على ازدياد عملية التطوير الحضارى في المغرب ووطئها بميزان القوى الوجيهة . ولا يترك الدارس في هذا الصدد الاشارة الى الدساتير والنظم اليونانية والرومانية التى استحدثت في المغرب لدى

القرطاجيين والبربر وكذلك في المجال الديني ، فقد جمع البربر بين
المؤثرات العقيدية المحلية والفينيقية واليونانية الأصل وبعض الملامح
ذات المابع المصري القديم . ويلاحظ أن المكتبة القرطاجية بمصر
تدمر قرطاج كانت من نصيب البربر استكمالاً لأداء هذه الوظيفة الفكرية .

ظاهرة ثالثة يلمسها الدارس في تقييم تاريخ المضرب القديم وعنى أنه
على الرغم من استمرار التأثير الفعلي بالحضارة القرطاجية واليونانية وفيما
بحد الرومانية ، فقد استمر البربر على بعض مقوماتهم الحضارية بل ونجحوا في
القيام بعدة ثورات سياسية في ذلك الوقت كمحاولة للتخلص من السيادة
القرطاجية والرومانية السراسية . هذا بالإضافة إلى ما تحلى به البربر من
بصائر قوية تحمل في ألبانها قيما وسمات حسنة وكذلك قدرات بدنية قوية
تجعل منهم أفراداً قادرين على المهام الحربية وتحمل المشاق . ومنذ
الصفات ترجع في الواقع إلى الأصول العامة الأولى حين حملتها الهجرات
البشرية أصلاً من اليمن ومان إلى شرقي أفريقيا . ويلبس الدارس تقارب
القرطاجيين من البربر في الاستجابة الحضارية الفكرية والمادية بصورة أكثر
عمقا منها مع الرومان . ويمكن أرجاع ذلك أيضاً إلى كون الأصول العامة
والسامية ترجع بصورة مشتركة إلى شبه الجزيرة العربية . وكما يلاحظ طلس
سبيل المطال أن الحضارة المصرية القديمة ، على الأقل في مراحل بدايتها ،
قد جمعت بين الصفتين العامة والسامية ، ويمكن تتبع بعض هذه الجوانب
في اللغة المصرية القديمة وكذلك في التراث الأثري . وحقيقة كون الرومان
ينتمون إلى عائلة الشعوب الهندية الأوروبية وكذلك سيادتهم العسكرية قد
حان دون استباحتهم ، رغم محاولاتهم الكثيرة ، تحويل البربر إلى شعب
روماني النزعة . ونفس هذه الظاهرة تنطبق أيضاً على كافة شعوب الشرق
الأدنى القديم الذي خضع للسيادة السياسية والعسكرية لعدة عناصر قوية ،
ومع ذلك فلم تتمكن هذه العناصر من الاستمرار وتحويل المصريين إلى عناصر
خاضعة لحضارتهم . كل ذلك صحيح إلا مع العناصر السامية العربية التي

تمكنت من التأثير الكلى على المصريين والبربر وتمريضهم لغويا وفكريا ولا يقتصر ذلك على شمال افريقيا بل على الشرق الأدنى القديم. وبعد اندحار قرطاج تمكن الرومان من التحكم الكامل في المغرب وباديسسة العصر الرومانى بها .

وبدأية العصر الرومانى في المغرب تأتى مرحلة جديدة في تاريخه تختلف كل الاختلافات عن المراحل السابقة فبينما يلمس الدارس في المراحل السابقة تدخل العناصر الفينيقية الأصل مع العناصر المغربية القديمة وهى العناصر البربرية تدخلا سلميا لحد كبير يتمكن الفينيقيون من احداث النفثة الحضارية والاقتصادية الهامة بالمغرب وبنى بداية العصر التاريخى ويتركون تأثيرا تهتم الحضارية والاقتصادية في مجالات الزراعة والتجارة والفكر الدينى والسياسى في تلك المجتمعات المغربية القديمة ، يلاحظ أن العصر الجدد وهو العصر الرومانى يختلف تمام الاختلاف عن تلك المرحلة التى سبقته الاشارة اليها . فالمرحلة الجديدة تنتمى الى عنصر يرجع في أصوله الى عائلة الشموب واللغات الهندية الأوروبية فهو يختلف عن عائلة الشموب واللغات السامية والحامية التى ترجع في أصولها الى شبه الجزيرة العربية . وعلى الرغم من الفوارق اللغوية والحضارية بين العناصر السامية والحامية لأنها يرجعان الى أصول مشتركة تعمل في جذورها بعض المظاهر الأقرب اتصالا من تلك الخاصة بالعناصر الهندية الأوروبية . وبينما كان استقرار الفينيقيين فسى المغرب سلميا يلاحظ أن استقرار الرومان في هذه المنطقة كان بالقوة العسكرية مما يصادف حقبة التحكم المصرى بالبحث أكثر من حقبة الاستيطان والاتصال بالبربر في المجالات التجارية والاجتماعية والفكرية . ولذلك ، فمرحلة العصر الرومانى فى المغرب تعتبر بمثابة احتلال أجنبى لهذه المنطقة الهامة من شمال أفريقيا .

ويمكن وتقسيم التاريخ المغربى أثناء العصر الرومانى الى ثلاثة مراحل

رئيسية :

أولا : تاريخ المغرب أثناء مرحلة عصر الجمهورية الرومانية من
سنة ١٤٦ ق.م. إلى سنة ٢٩ ق.م.

ثانيا : تاريخ المغرب أثناء المرحلة الأولى من عصر الإمبراطورية
الرومانية من عهد أغسطس إلى عهد جوردان الثالث من سنة ٢٩ ق.م. إلى
سنة ٢٤٤ م.

ثالثا : تاريخ المغرب في المرحلة الأخيرة من عصر الإمبراطورية
الرومانية من سنة ٢٤٤ إلى ٤٢٩ م ويبدأ الدارس بالمرحلة الأولى .

الفصل السادس

المغرب في العصر الروماني من الناحية السياسية

المرحلة الأولى

تبل الاحالة بتاريخ المغرب لسياسي في المرحلة التالية مباشرة
لنهاية الحرب البونوية الثالثة تنهى الاشارة الى بعض الظواهر السياسية
والاقتصادية ولنفسية الرومانية والتي تحكم لحد كبير في تشكيل التاريخ
المغربى القديم الى حد في هذه المرحلة وكذلك في المراحل التالية أثناء
العصر الرومانى .

فقد عانت الدولة الرومانية بعد أنتهاء الدولة القرطاجية أثر انتصار
الرومان في الحرب البونوية الثالثة الكثير من الأزمات وعلى رأسها المشاكل
الاقتصادية التي نجمت عن استمرار العمليات الحربية في الجبهات الالهالية
والاسبانية والمغربية وقتا طويلا مما أدى الى فقدان الكثير من الشسباب
الرومانى والابلاالى الذى كان يحمل أصلا في المجتمع الرومانى بكافة مظاهر
نشاطه الاقتصادية مما أدى الى عدم تواجد الأفراد العاملين في الحقول
الزراعية ونتجت عنه الأزمات الاقتصادية . ومن ناحية أخرى أدت هذه
الحروب أيضا الى عدم الاكتراث بالمقاهيم والقيم السلوكية في المجتمع الرومانى
مما أدى الى تدوير الاغلاق وقد نجم عن ذلك أيضا استقلال أصحاب
السلطات السياسية في الدولة لهذا الموقف وتوخيهم النزعة الذاتية بدلا من
المصلحة العامة للدولة والاشمب الرومانى . ويمكن ملاحظة عدم تواجد
التجانس بين طبقات المجتمع الرومانى في ذلك الوقت ، فعلى سبيل المثال
ازدادت نسبة العبيد الذين كلنوا أصلا أسرى حروب وتجمعوا في المجتمع
الرومانى لأداء مختلف الخدمات ولكنهم تفضلوا الى ضرورة الحصول على بعض
الحقوق التي تتفق مع غدايتهم من ناحية أخرى ، هذا بالإضافة الى تسرد
الرومان في منح العناصر الالهالية نفس الحقوق التي يحملها المواطنون
الرومان .

وقد أدت هذه الاشكالات الى تضاعف المسؤوليات السياسية المخولة لمجلس الشيوخ الرومانى الذى كان يحمل السلطة السياسية في الدولة . وقد تطورت هذه السلطات السياسية خلال التاريخ الرومانى في عصور الملكية والجمهورية والامبراطورية . ويمكن تلخيص بعض أوجه الشبه بين سائر السياسات اليونانية والقرطاجية والرومانية رغم اختلاف وجهات النظر والميعة الاقاليم والمجتمعات الحقيقية فيها ولكن كانت السيادة من الناحية النظرية في أصول هذه الساتير ترجع في الواقع الى العناصر اليونانية . ومن أهم السلطات أثناء العصر الجمهورى الرومانى كانت تلك المخولة الى القنصل الرومانى Consul وكذلك من يمثل في المناطق الواقعة تحت النفوذ الرومانى وهو البروقنصل Proconsul ، وهذا بالإضافة الى الموظفين المكلفين بكافة الشؤون التنظيمية في الدولة سواء المالية أو الادارية . وقد تطورت هذه السلطات في عصر الامبراطورية الرومانية وظهرت وظائف جديدة تطلبها هذه التوسعات الامبراطورية مثل وظيفة البروقوراتور Procurator وعمومثابة الممثل للامبراطور في الولايات السرومانية وكذلك وظيفة البروبريتور Proprætor. الذى كان يحكم أيضا الولايات الامبراطورية .

وتتبع الخوض في تاريخ المغرب القديم في هذه المرحلة الأولى من العصر الرومانى ويلاحظ أن تلك المرحلة قد عاصرت بزوغ شخصيات رومانية عامة في المجتمع الرومانى ومن أهمها شخصية تيمريوس جراكوس Tiberius Gracchus وأخيه جايوس جراكوس Gaius Gracchus وسلا Sulla . تاوماريوس C. Marcius وبيبي وشيشرون وبولبيوس قيصر وأفسطس . وكان لهذه الشخصيات أثرها البالغ في العمل على محاولة تحقيق اصلاحات المباشرة التى تطلبها تلك الأزمات الاقتصادية والسياسية السالفة الذكر . ولكن لم تقابل هذه السعازلات بالمواقفة النامة من طرف مجلس الشيوخ الرومانى مما أدى الى ظهور عراع داخلى في هذه المرحلة الأخيرة من الجمهورية

الرومانية بين هؤلاء الشخصيات السياسية العظيمة وبين أعضاء مجلس الشيوخ الروماني .

وفي هذه المرحلة الأولى قسم الرومان المغرب الى ثلاثة أقسام رئيسية :

أولا . الولاية الافريقية وكانت تتضمن منطقة العاصمة القرطاجية بصفة خاصة وقد تحكم فيها الرومان بصورة كاملة .

ثانيا : ممالك بربرية تنقسم بدورها الى ثلاث وحدات سياسية :

أ - نوميديا وعاصمتها قرطاج ونعى قسنطينة .

ب - موريطانيا القيصرية وتقع في المنطقة الغربية من الجزائر وعاصمتها شرشال .

ج - موريطانيا الطنجية وعاصمتها طنجة .

ويتجه تاريخ المغرب القديم في هذه المرحلة الأولى من العصر الروماني وفي المرحلة الأخيرة من الجمهورية الرومانية الى اظهار الشخصية المنسوبة القديمة بصورة أكثر قوة من الجانب السياسي ، منها في المرحلة السابقة . فقد تمكن البربر من تحقيق سيادتهم السياسية الى حد كبير رغم أنها قد تعرضت بشدة الى تدخل الرومان الذين خشوا من ازدهار القوة البربرية بدرجسة يصبغ التحكم فيها وتصبح بمثابة خطر جديد يهدد الكيان الروماني ويهدل محل القوة القرطاجية السالفة . ولكن على الرغم من ذلك فقد حاول البربر بصورة دائمة التخلص من الدخالات الرومانية والاصود لعمليات الضغفيل العسكري والسياسي الروماني . ولكن هذه المحاولات لم تصل الى تحقيق نسق ذاتها النهائية ، واتجه الرومان الى تدعيم كياناتهم السياسي والهرقي فسي المغرب واحتلاله كلية والقيام بعمليات لمهج المنطقة المغربية باللابج الروماني كغيرها من المناطق التي خضعت للسيادة الرومانية استكمالا لتحقيق تحويل مناداة البحر الأبيض المتوسط بأسرها الى بحيرة رومانية تحت سيادة مد يندسة

روما المعاصرة . ويتضح ذلك في مرحلة تاريخ المغرب القديم في عصر
الإمبراطورية الرومانية .

ويمكن للمؤرخ تتبع هذه المحاولات البربرية في الفترة التالية مباشرة
للحرب البونية الثانية والتي يتضح فيها انقسام البربر على أنفسهم وانحياز
ماسينسا الى جانب الرومان . وقد كان الرومان يتعمدون سياساتهم
التقليدية القائمة على التفرقة السياسية بين أفراد المنصر الواحد مما
يؤدى الى تحقيق أغراضهم . فبعد وفاة ماسينسا سنة ١٤٩ ق.م. تلاه
في حكم المملكة البربرية ابنه مكيبسا Micipsa وبدأت الإشكالات
البربرية الداخلية في التواجد بصورة خطيرة على اثر وفاة هذا الاغليد فقد
كان يتجه الى تقليد ابنه وهما أد هرغال Adherbal ، أو كما يطلق
عليه أيضا آذر بعل ، وهما يسال زمام الحكم من بعده . ولكن ظهرت شخصية
قوية في ذلك الوقت هي شخصية يوجورتا ، الذي يسمى أيضا بوفرا -
Tugurtha وهو ابن غير شرعى لمستعمل أخو مكيبسا وهو كذلك أنجب
مكيبسا ابنا شرعيا وسوفوده والذي لم يكن من الكفاءة والقدرة العقلية مثل
يوجورتا . وكان مكيبسا يخشى جانب يوجورتا لما لمسه فيه من قوة الشخصية
والحيلة ولذلك اتجه في بداية الأمر الى محاولة إبعاده عن المملكة البربرية
ببمته في حملة عسكرية لتأيد الرومان في عملياتهم الحربية في أسبانيا .
وقد أظهر يوجورتا في هذه البمته قدرات حربية فائقة كفلت له النجاح
وتقدير الرومان مما دفع مكيبسا الى ضرورة تقبله وسحاولة التوفيق بينه وبين
أبنائه بتبنيه له والتوصية بالحكم من بعده لابنيه أولا ثم ليوجورتا بعد ذلك .
وقد اكتسب هذا الأخير بهذا الاجراء حقا شرعيا في تولي العرش وأخذ
يحصل بوسائله الانتهازية محاولا اخلاء كل من أد هرغال وهما يسال من
طريقه والانفراد بالسلطة السياسية في المملكة البربرية .

ولما توفي مكيبسا لم يتفق الورثة الثلاثة على تقسيم سلطات المملكة
البربرية وانتهر يوجورتا هذا الموقف وأخذ يحاول تحقيق أهدافه الخاصة

بطرق ملتوية مستخدما وسيلة المؤامرات تارة والرشوة تارة أخرى . وقد تمكن من النجاح في بداية الأمر في قتل هيامسال ، أما أن هريال فقد التجأ إلى الدولة الرومانية مستنجداً أبها ضد يوجورتا . وكان هذا الطلب محل عطف الساسة الرومان لأنه يتفق مع سياستهم التفرقة النخلة ولدعم أقدام حلفائهم في المغرب . ولكن يوجورتا لم يتوان عن محاولة اكتساب ود الرومان في هذا الصدد واتبع نفس الأسلوب الملتوى في تحقيق أغراضه مع أعضاء مجلس الشيوخ الروماني ونجح في هذا المجال . ولذلك قرر الرومان حل هذا الاشكال الداخلي بين البربر بارسال بعثة رومانية ١٦٦ ق.م . إلى المملكة البربرية كمحاولة لاجراء التوفيق بين يوجورتا وأد هريال بتقسيم المملكة البربرية بينهما . وتحقق هذا الاجراء في بداية الأمر وقسمت المملكة القرطاجية القديمة ، والتي أصبحت الولاية الأفريقية الرومانية ، حتى مدينة قرطاج ، بينما تمتد المملكة البربرية الغربية فيها حتى الحدود الشرقية للمغرب الأقصى أي وادي ملوية وذلك تحت يوجورتا . ولكن هذا التقسيم السياسي والإداري للملكة البربرية لم يدم في حقيقة أمره إلى حل لهذا الاشكال البربري الداخلي لأن يوجورتا لم يكن ليرضى بهذا الموقف بل كان يهدف إلى الانفراد بكلمة بالسيادة السياسية بالمملكة البربرية المتحدة . ولذلك سرعان ما اتجه إلى تحقيق غرضه بالقوة العسكرية ووجه جيشه نحو مملكة أد هريال وتمكن من دخول العاصمة البربرية الشرقية وهي مدينة قرطاج وحقق هدفه وأعاد الوحدة السياسية مرة أخرى للملكة البربرية تحت رعايته . ولم يكن الرومان ليقبلوا هذا التطور الخطير الذي يحتمل منافيا لسياستهم ومنذرا بتكوين قوة بربرية لها شأنها في المغرب يمكن أن تحل محل القوة القرطاجية ولذلك انتهزوا حادثة محينة مستهم من قرب وهي تنكيل يوجورتا بشدة بالسكان الايطاليين بمدينة قرطاج والذين كانوا يتجهون إلى مساعدة أد هريال مسانداً نفوس الرومان الذين قرروا الدخول في حرب مباشرة مع يوجورتا . وبذلك تعرض المغرب مرة أخرى لتدخل روماني كبير أدى في نهايته إلى احتلال الرومان للمغرب .

الصراع بين يوجورتا والرومان

يحتل يوجورتا من الشخصيات البربرية الهامة التي حاولت تحقيق السيادة البربرية في المغرب رغم مختلف الصعوبات المعقدة بحقوقه وأساليه في هذا الصدد . وإن دخول له في صراع شديد مع الرومان لهدل على شجاعته الماثقة في ذلك الوقت . وقد أستم صراعه مع الرومان من سنة ١١١ - سنة ١٠٥ م . ولمن الدارس في مراحل هذا الصراع أمثلة للمجتمع البربري السابق في المغرب في تلك الفترة . وفيه محاولات يوجورتا المتواصلة للابقاء على الوحدة السياسية البربرية فقد كان البربر في حقيقة أو ضاعهم الاجتماعية يتضمنون العناصر البربرية التي اقترنت فعلا من الاستقرار في المدن والتحصن في حياتها مع المجتمعات المعاصرة سواء كانت قرطاجية الأصل أو رومانية ، وكذلك العناصر البربرية الأخرى التي كانت لا تزال في الجورجا القبلية على حافة الصحراء تحاول الدنو من المجتمعات المتحضرة ولكنها لم تألف بعد حياة المدن والخضوع السياسي لدولة بربرية متحدة . ولذلك فقد كانت عملية الوحدة السياسية البربرية في ذلك الوقت من الناحية الصعبة التحقيق لما تتضمنه من عناصر ذات وجهات مختلفة . ويمكن اعتبار ذلك أيضا من الأسباب التي يلمسها الدارس فسوي اشتداد الفرق السياسية بين الجوانب البربرية في بعض فترات الصراع بين البربر والرومان . وتنفي الإشارة أيضا إلى أن الطبيعة الجغرافية غربي المغرب تعتبر من العوامل المتصلة بهذا الموضوع ، فليست تلك الطبيعة من السهولة والتجانس بدرجة تكفل تحقيق تلك الوحدة السياسية بسهولة غربي ذلك الوقت وذلك لكثرة المناطق الجبلية وعدم توفر الطرق الموصلة بينها . ولذلك يلاحظ أن السياسة الرومانية فيما بعد قد صممت على إعطاء أهمية خاصة إلى الحرق المواصلات سواء في المغرب أو في غيره من مناطق النفوذ الروماني الروماني لكي تحقق التحكم الروماني في كافة تلك المناطق التي تصلها السيادة الرومانية .

وقد اتبع يوجورتا نفس وسائله الملتوية مع القوات العسكرية التي أرسلها الرومان لمحاربهته وعلى سبيل المثال تلك القوة التي كانت بقيادة القنصل

بستها *Li. Calpurinus Bestia*. ولكن هذه الوسيلة لم تكن دائمة المفعول مع كافة القادة الرومان . ويظهر ذلك عندما تسلم القنصل ميتلوس *Q. Metellus* قيادة جيش روماني جديد ضد يوجورت سنة ١٠٩ ق.م. ان دخلت الحرب بين يوجورتا والرومان مرحلة أخرى في عهده ونجح هذا القائد في احراز الانتصار على يوجورتا الذي اضطر اليه الانسحاب الى الهضاب والمناطق الجبلية الجبلية والتمسك بها الى أن يحين الوقت المناسب لكي يعاود مرة أخرى الحرب ضد الرومان . وهذه الظاهرة يمكن تلمسها في المجتمعات البربرية التي تتسلح ببيعتها البرية والجبلية عندما تواجهها المخالرو . ولم يقتصر يوجورتا على هذه الطريقة بل عمد أيضا الى اكتساب جانب القبايل البربرية في الجنوب والمعروفة باسم قبائل جدالة والتي كانت لا تزال على حالتها القبيلة وكذلك حاول التحالف مع بربر الغرب في موريطانيا والذين كانوا تحت زمامة ملكهم بوغوس . وقد نجح يوجورتا في هذه الخطة البربرية الوحشية وتمكن من توجيهها من نحو العاصمة البربرية قرطاج في سهل استعانتها وطموح النفوذ الروماني منها . ولم يتمكن القنصل الروماني ميتلوس من حسم الموقف في الحال نظرا لحدوث بعض التطورات في الاطوار الروماني التي استوعبت منه جهدا خاصا . فقد ظهرت شخصية رومانية قوية في ذلك الوقت وهي شخصية ماريوس الذي كان أصلا يعمل مع ميتلوس ولكنه كان طموحا ويميل الى الجانب الشعبي ولذلك كان من التأثيرين على الأشراف ورجال مجلس الشيوخ الروماني . وقد حقق ماريوس في التوصل الى درجة القنصلية عندما تقدم اليها سنة ١٠٧ ق.م. وبذلك انتقلت القيادة الرومانية فسمي وضمها الجديد الى ماريوس الذي أعطى اهتماما خاصا الى القوات المسلحة وأضاف أعدادا جديدة اليها بحد قراره فتح باب التطوع في الجيش الروماني ودخل هذا الجيش في بعض عمليات حربية تمهيدا في شرقي المغرب تهدف الى اعادة توليد السيادة الرومانية في المنطقة قبل مواجهة يوجورتا بصفة مباشرة . وكان من أهم معاوني ماريوس شخصية رومانية قوية أخرى هي شخصية سلا *Sulla* الذي اتخذ وسيلة خاصة في الصراع مع يوجورتا تظهر

فيها القديسة والالتوا . فقد عمل سلا على تحقيق خطة التفرقة بين
البربر الغربيين وبربر يوجورتا وذلك باغراء الملك بوغوس على التغلغل عن
تحالفه مع يوجورتا نظير مكاسب معينة وانها . هذا الصراع الروماني البربري .
ونجح سلا في هذا السبيل، وقد دخل بوغوس فعلا محاولا اقتناع يوجورتا
بهذا المشروع الذي يرضى الى السلام بين الطرفين البربري والروماني
ولم يلب منه الحضور بنفسه للتفاوض في هذا الشأن . وكلا سلا على اتفاق
سابق مع بوغوس في تدبير هذه المؤامرة للإيقاع بـيوجورتا والقبض عليه
وبالتالي التخلص منه . وقد تحقق هذه العملية الفادرة وقبض على يوجورتا
ثم قتل بعد ذلك سنة ١٠٤ م . وبوفاة يوجورتا بدأت صفحة أخرى في
تاريخ المغرب القديم اقتربت فيها السيادة الرومانية من نشر نفوذها على
أرجاء المنطقة بصورة أقوى من قبل، لأن تخلص الرومان من هذا الزعيم
البربري القوي قد أتاح لهم تحقيق أغراضهم الى حد كبير . وتنبه
الإشارة في هذا الصدد الى أن التفرقة والانقسام بين العناصر البربرية
كانت من أهم أسباب تلك الهزيمة أمام الرومان الذين اشتبهوا عبر التاريخ
بحكمتهم السنية على إيقاع الفرقة بين العناصر التي لم يربون في التحكم
نبيها مما يساعد على تنفيذ أغراضهم .

وكان من المنتظر بعد هذه التطورات في تاريخ المغرب القديم أن
يستحوذ الملك بوغوس على شئ خديعته للملك البربري يوجورتا بضم جزر
من المملكة النوميديّة الغربية الى سلطنة موريطانيا كما كانت المنطقة الشرقية
من نوميديا قد ضمت الى الملك غودة . وبذلك توحدت التركة البربرية بحصد
وفاة يوجورتا وأصبح مسير هذه الممالك البربرية الضعيفة متوقفا على مسير
رضا السادة الرومان . ولذلك يلاحظ أن التطورات الداخلية والخارجية في
الجمهورية الرومانية في تلك المرحلة قد أثرت كل التأثير على أحداث هذه
الممالك البربرية ومستقبلها . وقبل التمرض الى أمثلة لهذه الحقيقة يلزم
التحرف على بعض التطورات الداخلية في روما في تلك المرحلة وبصفة خاصة
الصراع الداخلي حول السيادة السياسية ووجهات النظر المختلفة بين

الطبقات المجتمع الروماني سواء الطبقة الأرستقراطية التي كانت لها السيادة السابقة أو الطبقة الشعبية التي كانت تحاول انتزاع الحقوق من طبقة الأشراف . وقد انعكست هذه التصرفات الرومانية البهتة على الأحداث المضربة وما تضمنته من تدلورات .

موجز للتطورات السياسية الرومانية الداخلية في أواخر عهد الجمهورية :

على الرغم من انتصارات الرومان وتمكنهم من القضاء على الدولة القرطاجية فقد كانت تواجههم في الواقع عدة أشكال سياسية داخلية وخارجية . فمن الناحية الداخلية اشتد النزاع حول السيادة السياسية بين طبقات الشعب وكان من المنتظر حدوث هذا الصراع الداخلي لما تضمنته المصاير الحاضرة لنقود مدينة روما في شبه الجزيرة الإيطالية من مجوهرات مختلفة طلبت بعض الوقت لاندماجها وحصولها على حقوق متساوية وتتفق جميعها في حمل صفة المواطن الروماني . وقد كانت طبقة الأشراف لا تزال تحاول المحافظة على مكانها وتنازع في السماح للطبقات الشعبية الأخرى في المساواة معها في الحقوق . كما تجسست الأشكال الداخلية حول السيادة السياسية في عدد من الأحزاب الأرستقراطية والشعبية . ولما كان مجلس الشيوخ الروماني تغلب عليه الصفة الأرستقراطية فقد بدأ صراع شديد بينه وبين القادة الشعبيين . ومن ناحية أخرى كان لبعض الأوضاع الناجمة عن الحروب القرطاجية والأسبانية وكذلك الحروب في منطقة الشرق الأدنى أثرها في ظهور بعض المشاكل مثل مشكلة الجنود المسرحيين بعد انتهاء عسده العمليات الحربية فقد كانوا يمثلون عبثا ثقيل على المجتمع الروماني وهم في نفس الوقت يحملون مشاعر معينة بعد تحقيقهم للأغراض الحربية . وعندها المشاعر تتطلب المكافأة المناسبة بالمال أو بالأرض . وكذلك أيضا طبقة الصبيد التي لم تفتأ عن الثورة من آن إلى آخر طالبة الحصول على بعض الحقوق من السادة الرومان . وقد كان مجلس الشيوخ الروماني يحاول حل هذه المشاكل الداخلية على أيدي القتائل المنتخبين ولكن تلك . المهمة لم تكن بالهينة

نظرا لتمدد وجهات النظر بين الطبقتين الأرستقراطية والهيمنية فلكل حزب رأيه الخاص في حل هذه المشاكل ما ينجم عنه وجود محارضة شديدة توغر حل هذه المشاكل وتؤدي الى تقادم الأزمات الداخلية وكانت العناصر المتبررة في وسيل أوروبا والتي جاءت نتيجة الضعف البشري والاقتصاد تحاول انتهاز وجود هذه المشاكل وتغير بدورها على الدولة الرومانية وتحاول سلب ما يمكن أن تقع بها عليه بل تحاول التحكم في بعض الأراضي الرومانية ما كان يتطلب حلا سريعا ومنح سلطات استثنائية للقادة الرومان . وقد حدث ذلك سنة ١١٣ ق.م. عندما تسلمت هذه العناصر الجرمانية ووصلت الى شبه الجزيرة الإيطالية واقتربت من مدينة روما ولكن نجح مايروس في انقاذ الجمهورية الرومانية وكذلك ظهرت اغمارات القراصنة في البحر الأبيض المتوسط ونتج ذلك عن عدم تواجد النشاط البحري الهائل الذي كان للدولة القرطاجية يد فعالة في تحقيقه والذي توقف بانتهائها ، وقد وصلت جراحة عملاء القراصنة الذين كانوا ينتسبون أصلا الى بعض الجزر في شرق البحر الأبيض المتوسط وساحل آسيا الصغرى الى مهاجمة الأراضي الإيطالية والاستحواذ على ما يمكن لهم سلبه والعودة الى سفنهم . وقد أدت هذه التهديدات الى عدم شعور الرومان بالأمن والاستقرار ما جعل هذه المسألة من أولى المشاكل المباشرة في ذلك الوقت .

وسا يؤكد مدى تقادم الاشكالات الداخلية السابقة الذكر تلك الحادثة الخالصة في حياة الجمهورية الرومانية ان تجرأت بعض العناصر الإيطالية غسي خضم محاربتهم للرومان لأجل الحصول على المساواة في الحقوق على اقامة حكومة أخرى مستقلة داخل الوطن الروماني تتأوى حكومة مدينة رومسسيا ، واتخذت مدينة كورفينيوم Corfinium عاصمة لتلك الدولة الإيطالية ، وقد أدت تلك الحوادث الداخلية الى درجة الحرب العلنية . ولم يجد مجلس الشيوخ الروماني حيلة لهذا الخطر المهدد للكيان الروماني بأسره الا الاعتراف بحقوق عملاء الإيطاليين ومساواتهم بالسادة الرومان وحملهم للجنسية الرومانية . ويمكن اعتبار هذه الحادثة بمثابة خطوة فعالة في طريق الحصول

على الحقوق المساوية للسادة الرومان وهي في الحقيقة انتصار للقوى
الشعبية في عملية صراعها مع القوى الاستقرالية في المجتمع الرومانس

وتنبى الإشارة الى أن هذه التجارب القديمة التي واجهت
الرومان قد أعطتهم الجانب التجريبي الكافى في قيادتهم السياسية مسا
سج لهم بممارسته في المرحلة التالية لعصر الجمهورية وهو عصر الامبراطورية
فرغم هذه الشدائد الداخلية التي لحقت بالرومان فقد أدت الى اكتسابهم
الحكمة السياسية اللازمة من وجهة نظرهم في تحقيق أهدافهم .

ولم تقتصر هذه الاشكالات الداخلية والخارجية على النطاق الأوروبي
أو الافريقي بل لقد وصلت مشاكلهم الى الجانب الآسيوى أيضا ، في منطقة
الشرق الأدنى القديم . ولقد كانت تلك المنطقة صاحبة السيادة الحضارية
والسياسية قبل الرومان بمشترات القرون ، وكانت تعمل في حمايتها تركية
حضارية هائلة توقفت تحت الضغط الخارجى منذ سيادة الاسكندر الأكبر
وغلقته عليها ولكن ذلك لم يمنع من محاولتها من آن لآخر أداء دورها
السياسى والحضارى مرة أخرى . ولذلك لم تكن تلك المنطقة لتقبل بسهولة
سيادة الرومان عليها بقوة السلاح وهكذا وجد الرومان صعوبات شتى فسي
عملياتهم الحربية في شرق البحر الأبيض المتوسط وبصفة خاصة في منطقة
أرمينيا ونيطوس وبارثيا وسوريا وفلسطين ومصر . وذلك لأن هذه المناطق
التي كانت لاتزال مراكز للفكر والحضارة رغم ضعفها في المجال السياسى .
تختلف اختلافا كبيرا عن المناطق الأوروبية والغربية في ذلك الوقت . وليس
سبيل المثال لاتزال الآثار المصرية وغيرها حتى الوقت الحاضر تشهد على
محاولة الرومان التقرب من الآلهة المصرية ولشعب المصرى القديم بأقامة
المعابد ارضا له وتخفيف لمقاومته لهم ، بل لقد سجل الرومان أسماؤهم
باللغة المصرية القديم والخط الهيروغليفى أثناء فترات حكمهم لمصر كمحاولة
منهم في سبيل التقرب من هذا الشعب القديم العريق .

ومثال واضح لحركة المقاومة الشديدة للنفوذ الروماني في الشرق الأدنى القديم يظهر بوضوح في شخصية ميتراداتيس السادس ملك بطلوس قرب نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد . وكان الملك قد توغل في آسيا الصغرى ما اعتبره الرومان خطرا شرقيا يهدد كيانهم السياسي في الشرق . وقد جندت الجمهورية الرومانية شخصية فذة لدى شخصية سلا الذي كان ينتمي الى الجانب الارستقراطي في مجلس الشيوخ الروماني . وسافر سلا الى الشرق وبذل جهودا كبيرة في حروبه مسلح ميتراداتيس ولكنه كان يتطلع في نفس الوقت الى ضرورة العودة الى الماصنة الرومانية لمواجهة اشكالات الصراع الداخلي مع الحزب المعادي له وغزو الحزب الشعبي برئاسة ماريوس . وقد زاد في رغبته الملحة في ضرورة العودة الى روما انتهاز الحزب الشعبي فرصة تخريب سلا والانتقام من الحزب الارستقراطي . ولذلك لم يترك سلا فرصة عقد صلح مع ميتراداتيس سنة ٨٥ ق.م . واتجه الى روما لأخذ اللأثر من الحزب الشعبي . وعند ما وصل الى روما بدأ يستحوذ على السلطة الكاملة لشخصه ولحزبه الارستقراطي ، وبما يحمله الحال لمجلس الشيوخ الروماني التي كانت غالبية أعضائه من هذا الحزب . ولم يترك سلا أية فرصة لتحقيق أغراضه ، فاستغل تواجد بعض المؤيدين لوجهة نظره من طبقة الفرسان واقترح زيادة عدد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني حتى يتمكن من ادخال أولئك المؤيدين الى المجلس تدعيا له ولحزبه وأعضاءا للحزب الشعبي . ومن أعم الخطوات التي مارسها سلا في سبيل تحقيقه السيادة الرومانية اقتراحه تنظيم وظائف ثابتة في الولايات الخاضعة للنفوذ الروماني مثل وظيفة نائب القنصل وذلك لادارة تلك الولايات في المجال المدني والحرص مع التحكم في أوضاع هذه الولايات بجعل مجلس الشيوخ الروماني صاحب السلطة الأولى في تسير شئونها الهامة . وتعتبر هذه الخطوة مرحلة هامة في التطور نحو الامبراطورية الرومانية لأنها ثبتت أقدام الرومان بصورة منظمة ومضطلمة في هذه الولايات الرومانية ما استلزم بناء المدن وتجهيز الطرق الخاصة بها واتخاذ عاصمة بها قصر الحاكم الروماني كمركز رئيسي

لاداراتها . وقد استكملت هذه الخطوات واجراءاتها التنفيذية بصورة فعلية وعلى نطاق واسع في عصر الامبراطورية الرومانية .

ولكن هذه الخطوات الهامة التي نجح سلا في اقامتها لم تكن نهاية المطاف في طريق التطور السياسى في هذه المرحلة الحاسمة من التاريخ الرومانى بل لقد كان لعمليات التوسع الرومانى الخارجى اثرها في الزيادة من الاشكالات الداخلية السالفة الذكر لأن هذه التوسعات قد تطلبت زيادة القوات العسكرية للبرية والبحرية وبالتالي ترتبت على انتهاء عملياتها الحربية ضرورة تسريح هذه القوات وضمان أماكن معينة لاقامتها . ومن ناحية أخرى لم يكن القادة المنتصرون في هذه الحروب ليقبلون الامتثال لمبدأ يعاد فهم من اشكالات داخلية في روما بعد عودتهم الى وطنهم بل كانت انتصاراتهم الحربية في الجبهات الخارجية قد فهمهم الى الرغبة في استكمال انتصاراتهم في الجبهة الرومانية الداخلية . وقد تجسم ذلك في بعضى الشخصيات الرومانية الغدة التي بدأت تتطلع الى تحقيق مآلها في المجتمع الرومانى وعلى رأسها شخصيتى يومى ويوليوس قيصر . ولم يكن مجلس الشيوخ الرومانى ليستطيع الوقوف أمام هؤلاء القواد العظام الذين انقذوا الجمهورية الرومانية من عدد من الاشكالات الخارجية سواء كانت في منطقة الشرق الأدنى أو في القاطع الأوروبى وبصفة خاصة في منطقة غالة .

ومن أمثلة انتصارات هؤلاء القادة العظام ما كفل لهم تسلم زمام الأمور السياسية في الجمهورية الرومانية تلك العمليات الحربية الهائلة التي قام بها يومى في غالة وأسبانيا وبنطوس . فعلى الرغم من صعوبة تلك العمليات الحربية وشدة المقاومة المحلية فقد نجح يومى في احراز الانتصار ضد القائد الالبى سى سىرتوريوس Q. Sertorius سنة ٧٣ ق.م ومن الأمثلة العديدة الاشارة الى أن أعداء الرومان كانت لديهم الفطنة الكافية في عملياتهم الحربية ولم تقتصر جهودهم على الانغراس بها بل عقدوا المحادثات فيما بينهم

ضد الرومان . ومن أمثلة تلك المحاللات الضمير المنتظرة تحالف سيرتوريوس في أسبانيا مع ميثراداتيس في بططوس على ساحل البحر الأسود .

ولذلك فقد كانت خطوة بومبي التالية بعد انتصاره على سيرتوريوس التسوجه الى منطقة الشرق الأدنى لمحاولة إيقاف ميثراداتيس عن تهديد بلاد الكيان الروماني في القلاص الشرقى . وكان هذا التهديد قد وصل الى مداى عند ما تمكن ميثراداتيس من تحقيق الانتصار على القواص الرومانية في بداىة الحرب . ولكن عند ما تمكن بومبي من تسلم قيادة القواص الرومانية في تلك المنطقة نجح في احراز الانتصار على ميثراداتيس ملك بططوس وتيجرانيس Tigranis ملك أرمينيا . ولم يقتصر هذا الانتصار الروماني على الجانب البحرى بل شمل أيضا الجانب البحرى في البحر الأسود .

ولم يكتف بومبي بقدرااته الحربية الفارقة في سبيل تأمين سلامة الجمهورية الرومانية على عملياته العسكرية في شبه جزيرة أيبيريا وشرق الأدنى بل لقد نجح أيضا في القضاء على عمليات القراصنة التى كانت تهدد الأمن الرومانسى ولم يقتصر في هذا الصدد على القضاء عليهم فحسب بل حاول حل اشكالهم الرعيسى وموالاشكال الاقتصادى بتوفير أماكن لسكنائهم تكفل لهم الاستمرار وإيقاف عمليات السلب والنهب والتهجم غير المشروع على السكان الامنيين فسبى المدن الاصلية وكذلك في السفن التجارية في حوض البحر الابيض المتوسط . وكان لهذه الخطوة الفعالة أثرها في ارتفاع أسهم التقدير الكامل الشخصية بومبي في المجتمع الرومانى .

ومن أعماله الحاسمة أيضا في الامار الداخلى في سبيل الأمن الرومانسى نجاحه في القضاء على الثورة التى قام بها المبيد بقيادة رميمم سهارتاكوس Spartacus . وكانت تلك الثورة قد وصلت الى مداى الخطير في تهديد الأمن الرومانى كلية . وقد تمكن بومبي بفضل جدارته وبخبرته الطويلة في انهاء هذه الثورة . ثم بدأ في التفرد بعد هذه الجهود المتواصلة الى القلاص

الرومانى السياسى الداخلى الصرف . وتقدم الى وظيفة القنصلية سنة ٥٠٧ م . وكانت وجهته السياسية تميل الى جانب الحزب الشعبى ، ولذلك يعتبر تبوأه السلطنة السياسية انتصارا للجانب الديموقراطى على الجانب الارستقراطى الممثل فى مجلس الشيوخ الرومانى . وليس معنى ذلك أن جميع الشروط التى سبق لسلالاتها قد عمل بومبى على ازالتها انتقاما منه ومن حزبه الارستقراطى ، فبالرغم من أن بعض تلك الشروط الخاصة بتنظيم الولايات الرومانية قد عمل بومبى على تدعيم أسسها تأكيداً للسيادة الرومانية فى الخارج ، فلم تكن المعاداة بهتة وبين سلا لتكون على حساب مصلحة الرومان فى الخارج وقد اتجه بومبى الى هذه الجوانب التنظيمية فى سياسة الجمهورية الرومانية بعد خبرته الطويلة فى الولايات الخاضعة للنفوذ الرومانى والى كان قد نجح فى تنظيم ادارتها مائلاً للدولة الرومانية مصداقاً لما من الثروات المختلفة التى ساعدت على تحقيق الكثير من الشروط الرومانية . ولكن انتصارات بومبى المتواصلة لم تقبلها بعض منافسيه داخل نفاق الحزب الشعبى وصفة خائفة كراسوس . ولكن من ناحية أخرى كان لدى بومبى بعض الشخصيات الهامة المؤيدة لوجهه نظره مثلاً لخليل الرومانى الشهير شيشرون Cicero . وقد حاول كراسوس أن يكسب الى جانبه شخصية رومانية أخرى لامعة فى ذلك الوقت بدأت تظهر فى مجال السياسة الرومانية الداخلية وهى شخصية يوليوس قيصر G. Julius Caesar . وقد وصلت مظاير هذا الصراع الداخلى الى أشد ما يمكن عند الشخصيات السالفة الذكر وحاول شيشرون ايقاف هذا الصراع والتوفيق بين مختلف وجهات النظر . ورغم علم بومبى بهذه الجوانب المختلفة التى تدور بعنف حوله فقد قرر تسريح آواته المسلحة بمجرد عودته أخيراً الى روما سنة ٦٢ م . بعد تثبيت أركان النفوذ الرومانى فى الشرق الأدنى فى بندوس وسوريا وقلمطين . وكان فى امكانه فرض وجهة نظره بالقوة العسكرية وانها . هذه المعارضات الموجهة ضدّه ولكنه آثر التظلم السلمى والمالب باقرار الاجراءات التنظيمية التى سبق له اتخاذها فى شأن

الولايات الخاضعة للنفوذ الروماني ، ولكن مجلس الشيوخ الروماني قد رفض الموافقة عليها ، وبذلك هزم بومبي الهتل في الألمان الرومانس الداخلي رغم جهود الموافقة السالفة الذكر في سبيل الرفعة الرومانية ومنذ ذلك الوقت بدأ نجمه في الأفول وتللمت شخصية يوليوس قيصر إلى الأذهان في المجتمع الروماني وبصفة خاصة عندما نجح في الحصول على وظيفة القنصلية سنة ٥٩ ق.م .

وقد اتبع يوليوس قيصر سبيل بومبي في الحصول على المجد العسكري الخارجي لتأمين السيادة الرومانية وزيادة الثروات المائدة إلى الجمهورية الرومانية . وكان مجال نشاطه في منطقة غرب أوروبا وبصفة خاصة غالية . وكانت هذه المنطقة تهدد الأمن الروماني لما اجتاحتها من تحركات بشرية هائلة على الشعوب الجرمانية ولذلك ركز يوليوس قيصر جهود نفسيه في هذه الهجمات وتأمين الحدود ، وحقق ذلك فعلا ووصل إلى أهدافه عندما نجح في انزال قواته في الجزيرة البريطانية سنة ٥٤ ق.م . وكما سبق أن واجه بومبي اشكالات النزاع الداخلي الروماني رغم انتصاراته الخارجية فقد واجه قيصر أيضا هذه الاشكالات مرة أخرى ، فقد كانت المبادئ القديمة بين كل من بومبي وكراسوس لا تزال على أشدها وحاول يوليوس قيصر التلطفة من هذه الاشكالات الداخلية والتوفيق بين كل من بومبي وكراسوس ولكن سرعان ما تبلورت الأوضاع الداخلية مرة أخرى حينما انفرد بومبي بوظيفته القنصلية بعد وفاة كراسوس . ولم يكن هذا الموقف ليرض يوليوس قيصر الذي لم يرض بومبي في الاستحواذ على السيادة السياسية وخاصة عندما وصل بومبي إلى درجة بعيدة في هذا الصدد باقتراحه بإخلاء كرف يوليوس قيصر من زمام القيادة العسكرية تمهيدا لإبعاده عن النشاط الحربي والسياسي . بل لقد حصل بومبي على موافقة مجلس الشيوخ على اعتبار يوليوس قيصر عدوا للجمهورية الرومانية . ولكن هذا الاجراء لم يكن ليتقبله يوليوس قيصر بسهولة ولذلك تنقدم قور علمه بذلك بقواته نحو روما . وهكذا وصل الصراع الرومانس الداخلي إلى أشده ومهد إلى أحداث التطور الكبير في السياسة الرومانية

الداخلية وهو بداية الانتقال نحو لرحلة الامبراطورية الرومانية . ويغلب أن بومبي كان يدرك تماما مدى قوة قيصر العسكرية ولذلك على الرغم من كفايته وقدراته السالفة فقد فضل الرحيل عن إيطاليا واتجه الى بسلام الاغريق مصاحبا معه عدد من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني . وكان تصميم قيصر على اللحاق ببومبي والتخلي عنه أكيد الدرجة أنه بذل جهدا مضاعفا في اغتطاء أثر بومبي بل ومؤيده في كافة أنحاء الولايات الخاضعة للنفوذ الروماني . ولذلك اتجه أولا الى أسبانيا لتحقيق هذا الأمر وتأمين ظهره قبل أن يتجه الى الشرق . وقد نجح قيصر في فرضه وتمكن من اللحاق بالهزيمة ببومبي عند فارسالوس Pharsalus في شمال شرق بلاد اليونان وفر بومبي الى مصر . ولكن لم تستمر حياته طويلا لأنه قتل هناك . وقد تنبّه قيصر الى مدبنة الاسكندرية العاصمة المصرية في عصر البطالمة وقد كان الحكم في تلك الفترة قد انتقل الى الملكة كليوباترة ذات الشخصية القوية التي نجحت في اجتذاب عدد من الحكام الرومان السيئ جانها وكان يوليوس قيصر أول أولئك الذين تأثروا بها . ولم يكتف يوليوس قيصر بهذا القدر من انتصاراته على خصمه بومبي بل لقد تابع خطته فسي القضاء على مؤيدي عدوه في كافة أرجاء المناطق الخاضعة للنفوذ الروماني في ذلك الوقت وعلى رأسها منطقة المغرب . وانفرد بعد ذلك بالسلطة السياسية ولكنه على الرغم من قدراته وصلاته الحربية السالفة الذكر ونشاطه المتواصل في سبيل السيادة الرومانية فقد انتهت حياته على اثر مكيدة قام بها عدد من أموانه وبصفة خاصة ماركوس يونيوس وبروتوس وديكموس وبروتوس وتمكنوا من اغتياله في مجلس الشيوخ الروماني ، في سنة ٤٤ ق م .

وانتقل الحكم من بعده الى ماركوس أنطونيوس الذي كان في خدمة يوليوس قيصر . وتكونت لجنة ثلاثية من أنطونيوس وليبيدوس وأوكتا فيان للقيام بتولييد الاستقرار السياسي مرة أخرى في الدولة الرومانية . ولكن تصرفات أنطونيوس الخاصة لم تكن لتحظى بالقبول من طرف أوكتا فيان ومثال ذلك اتجاهه الى كليوباترا ملكة مصر وتزوجه منها على الرغم من كونه ملتزما بالزواج

من أوكتافيا بل لقد تلمزف الموقف عند ما ازداد تقرب أنطونيوس من كليوباترا الى درجة أنه قد أثير احتمال أنه قد أوصى بأملاك الرومان الشرقية الى كليوباترا . وبدأ غذا الصراع يتخذ مظهره الحربي بين كل من أوكتافيان وأنطونيوس ومعه كليوباترا . وحدت الواقعة البحرية بين الطرفين سنة ٣١ ق.م في أكتيوم Actium وتمكن فيها أوكتافيان احراز الانتصار مما أدى الى التمهيد لانفراد بالسيادة السياسية الرومانية . وقد تم ذلك فعلا عند ما أوجه أنطونيوس الى الانتحار بعد فواره الى الاسكندرية وسماحه من اشاعة انتحار كليوباترا . واتجه كذلك أوكتافيان الى الاسكندرية ولم يكن أمامه الا استكمال انتصاراته بضم مصر الى نطاق النفوذ الرومانى . ولم يقبل أوكتافيان محاولات كليوباترا للتأثير عليه كسلفة ولذ لك سرط ما نفذ هدفه السياسى ورجع بعد ذلك الى روما باداء مرحلة الامبراطورية الرومانية حاملا اسم الامبراطور أغسطس Augustus

من ذلك يتبين مدى جسامه التجارب السياسية والحربية التى واجهتها الجمهورية الرومانية في مرحلتها الأخيرة داخل نطاق الوطن الرومانى وفى أرجاء الولايات الخاضعة أو في جربها الى الخضوع للسيادة الرومانية . ولم تكن مثقلة المغرب بالخارجة عن هذا النطاق فقد كانت صلة الرومان بها أقدم وأوثق من غيرها من مناطق البحر الأبيض المتوسط . كما أن تجربة الرومان السياسية الطويلة مع الدولة القرطاجية ليست بالهيدة ، مما جعل هذه المرحلة الأولى من العصر الرومانى في المغرب بمثابة مرحلة انتقال من نشر النفوذ الرومانى في المغرب تحقيقا لتثبيت أركان السيادة الرومانية ، الى مرحلة التحكم المطلق الحربي والسياسى في المغرب وتحويله كلية بالقوة الى ولاية رومانية داخل نطاق الامبراطورية .

أما من أهم الظواهر التاريخية المخبرية في تلك المرحلة وبصفة خاصة بعد وفاة الملك يوجورتا فيلاحظ انعكاس تلك الأحداث الرومانية ، بما تضمنته

من مظاهر صراع داخلي وغارجي حول السيادة الرومانية ، في الأطلس
المغربى . وقد ظهر ذلك في مكافأة الرومان للملك بوغوس بمنحه نصيبا
من توميد يا الغربية نتيجة تعاونه معهم . ولكن ذلك لا يحنى استمرار
هذا النفوذ الرومانى في طاعيته في المجتمع المغربى القديم في تلك
الفترة بل لقد كانت لا تزال هناك بعض الاتجاهات الهريرية المحلية التى
تهدف الى ابعاد النفوذ الرومانى وارجاع الاستقلال الذاتى لتلك الممالك
الهريرية . وقد نجح في هذا الصدد الملك ماسينسا الثانى ابن الملك
فوديه واستعاد السيادة الهريرية مرة أخرى . وقد اذبح انعكاس الصراع
السياسى بين كل من ماريوس وسلا في المغرب عندما ظهرت شخصية بربرية
قوية وهو حيرباص الذى كان يميل الى حزب ماريوس ، في تحقيق توصله الى
حكم المملكة الهريرية واحلال نفسه مكان كل من ماسينسا الثانى وأخييه
هياميسال ، ولكن لم يكن سلا ليقبل هذا التطور السياسى في حكم المغرب
ولذلك آثر الصلح على الانتصار على حزب ماريوس في هذه المنطقة أيضا شبي
وتمكن بالقوة الهريرية من تحقيق غرضه في إعادة الحكم مرة أخرى الى ماسينسا
الثانى وهياميسال . وتدل هذه التقلبات السياسية بوضوح على مدى صدم
استقرار التاريخ المغربى في تلك الفترة لارتباطه الكلى بالتطورات فى الجانب
الرومانى .

وتظهر حلقة أخرى من انعكاسات هذه الأحداث الرومانية الداخلية
في الامار المغربى في مرحلة الصراع الشديد بين كل من بومبى ويوليوس
قيصر . ذلك عندما كان كل من الملك يوبا الأول ملك توميد يا الشرقية ، وهسو
ابن الملك هياميسال ، ومعهم الملك ماسينسا الثانى يميل الى جانب بومبى .
ولكنهما لم يكونا ممثلين لكافة وجهات النظر الهريرية في المغرب بل كانت
هناك وجهة نظر أخرى تؤيد جانب يوليوس قيصر وكان على رأسها كل مسن
بوغوس ، الصغير وبوفود اللذين كانا يحكمان المملكة الموريطانية في أقصى شربى
المغرب . وكما التجأ سلا الى استخدام الملاح في تحقيق سياسته ، كذلك
اتجه يوليوس قيصر الى اتباع نفس الوسيلة وتمكن من الانتصار سنة ٤٦ ق.م. في

محركة تايوسوس و. مونتج رأس الد يماح على الساحل التونسي . وقد أدى هذا الانتصار الهام الى تحول خطير آخر في التاريخ المغربي القديم وعواقبه ولاية رومانية جديدة بالإضافة الى ولاية أفريقيا التي حلت محل الدولة القرطاجية ، وهذه الولاية الجديدة حملت اسم ولاية أفريقيا الجديدة . ولم يكن هناك مكان للملك يوبا الأول ولذ لك أنه يسح حياته بالانتحار وكوفى الملك بوغوس على تعاونه مع يوليوس قيصر بتوسيع مملكة موريطانيا الشرقية على حساب مملكة توميدبا الغربية . وبذلك بدأ الرومان يشبهون أقدامهم في المغرب ما مهد في السنوات التالية السى احتلال كامل للمناقة واعتبارها جزءاً من الامبراطورية الرومانية .

ومثال ثالث يبين مرة أخرى انعكاس التاريخ الرومانى على الاحداث المغربية عند ما تتطور الامور السياسية الرومانية تلورا خاصا بعد مقتتل يوليوس قيصر فقد حاول البربر انتهاز تلك الفرصة والتخلص من المالك البربرية التى استحدثت في عهده . وكان على رأس هؤلاء البربر أرابيوس ابن ماسينسا الثانى . وعلى الرغم من نجاحه في هذا الشأن ولكنه لسم يستمر طويلا لأنه لم يكن من المستماغ من وجهة النظر الرومانية مسودة البربر المتحررين الى مكانتهم مرة أخرى ولذ لك سرعان ما اتجه الرومان السى اعادة الامور الى ما كانت عليه بالقوة العسكرية سنة ٤٣ ق م . وبذ لك ازداد النفوذ الرومانى مرة أخرى في المغرب وقد تأكد ذلك أيضا بعد وفاة الملك بوغوس ، واتجاه أوكتافوس الى ربط هذه الممالك البربرية بالامطار الرومانى وذ لك بتعيين حكام رومان على عرش السلالة الموريطانية منتفزا فرصة عدم وجود وريث للمرض بعد الملك بوغوس . وقد استمر الرومان في حكم هذه المملكة حوالى الثمانى سنوات الى أن عين الملك يوبا الثانى ملكا عليها وذلك سنة ٤٣ ق م . وقد دخل المغرب في حقيقة طور الامبراطورية الرومانية .

وبهتضح من دراسة هذه المرحلة الأولى من العصر الرومانى مداه ارتباك تاريخ المغرب القديم وبصفة خاصة الممالك البربرية بحجريات الأمور في الحالم

الرومانى ولكن ذلك لا يعنى زوال الصفة المفريية القديمة بل لقد ظلت
الصفة في التواجد في ذلك الوقت في المجال الحضارى والسياسى .
وحتى في المرحلة الثانية من العصر الرومانى يلمس الدارسون
تحقيق الصفة الرومانية جوانب من الصفة المفريية القديمة في شكل عدد
من الثورات البربرية في المجال السياسى وفي شكل استمرار لبعض
الظواهر الحضارية البربرية والقرطاجية في تلك المرحلة .

الفصل السابع

العصر الروماني في جانبه السياسي

المرحلة الثانية

استكمالا للمرحلة الأولى في تاريخ المغرب أثناء العصر الروماني، يمكن اعتبار المرحلة الثانية وهي مرحلة الامبراطورية الرومانية انعكاسا آخر في تاريخ المغرب القديم للتاريخ الروماني بتطوراته المختلفة فسي المجالات السياسية الداخلية والخارجية والاقتصادية والدينية . ولكن درجة الانعكاس في هذه المرحلة الثانية أقوى منها في المرحلة الأولى نظرا لاختلاف الكيان الروماني في المغرب فيها . ففي المرحلة الثانية تمكن الرومان من تحقيق سيادتهم السياسية والحربية وبالتالي أصبحت نسبة كبيرة من الأراضي المغربية تابعة للنفوذ الروماني المباشر وبخاصة لكافة الأحداث الداخلية والخارجية في نطاق الامبراطورية الرومانية الشاسعة التي امتدت في جوانبها الأوروبية والأفريقية ولا فريقة تحت سيطرة مدينة روما العاصمة . وقبل الاحاطة بالتاريخ المغربي في هذه المرحلة يحسن التمرض الى موجز عن المرحلة الأولى من عصر الامبراطورية الرومانية .

يلعب الدارس في هذا العصر انتقال الدولة الرومانية من مرحلة الجمهورية الى مرحلة الامبراطورية . وكان من الطبيعي أن يواجه الرومان الكثير من الاشكالات السياسية الداخلية والخارجية والاقتصادية والمنصرية والدينية نتيجة اتصالهم بشعوب كثيرة وتحكمهم السياس والحرب فسي اقاليمها . ولكن على الرغم من ذلك فقد عمل الرومان على المحافظة على هذه الامبراطورية واكتساب الكثير من فلاتها الاقتصادية ونشر الحضارة الرومانية والادب اللاتيني في ربوعها والقيام بعدد من العمليات التحصينية والعمرائية في الكثير من ولاياتها . ولكن ذلك لم يكن لهو استجابة مرضية من العناصر المحلية ما أدى الى قيام ثورات كثيرة استنزفت جهودا مضاعفة من الرومان في محاولة اخضاعها . ومن أهم الظواهر التاريخية

والفكرية التي برزت في تلك الفترة مولد الديانة المسيحية التي واجهت الكثير من الاضطهادات الرومانية وكانت من المسائل التي واجهت الرومان لمدة طويلة . كما أن المشكلة الاقتصادية كانت من أهم المقبات التي اتصلت اتصالاً وثيقاً بكمرة الحروب التي خاضها الرومان وتطور الهيئات المجتمعية الروماني وحصول الأفراد إلى حد كبير على الحقوق الرومانية . وقد تطور القانون الروماني بتشريعاته المختلفة تلجوا حاسطاً في تلك الفترة لأن هذه المسائل قد اقتضت اصدار عدة قوانين تنظيمية في كافة المجالات ط د فعلى هذا التطور في المجال القانوني . ولكن لم يستطع الإمبراطور إنهاء هذه الاشكالات المختلفة وتثبيت أركان الامبراطورية والسلام الشامل في ربوعها الا في فترات محدودة ، مما أدى إلى حدوث الانفصال داخلها وإلى الامبراطورية شرقية وأخرى غربية .

أما عن أهم الأباطرة الذين قاموا بدور فعال في بداية عصر الامبراطورية فعلى رأسهم الامبراطور أغسطس الذي استمر من ٣١ ق م - ١٤ م . ويلاحظ تدخل الامبراطور المباشر في شئون حكم الولايات الامبراطورية بالاشتراك مع مجلس الشيوخ الروماني . وتكرر ظاهرة تدخل الأباطرة في شئون هذا المجلس بصورة سافرة تودي في النهاية إلى ضعف سلطانه وبروز سلطات الأباطرة . ولكن تواجد الجيوش الرومانية في بعض الولايات لا يستكمال عملات الدفاع والقمع المباشر لأعداء الامبراطورية سواء كانوا من القبائل الجرمانية التي كانت تهدد الامبراطورية في مجال أوروبا الغربية أو في نطاق الحدود الشرقية فسي مطالب أرمينيا وبارثيا والفرس ، فعلا قادة هذه القوات إلى التدخل في بعض الأحيان تدخلا مباشرا في الشئون السياسية الرومانية ووصل بهم الأمر إلى تنصيب بعض الأباطرة ومحاولة فرضهم على مجلس الشيوخ الروماني . ويتضح ذلك في فترة الأباطرة الضعفاء الذين لم يتمكنوا من فرض السيادة الكاملة على القوات العسكرية الرومانية المربطة في الولايات .

ولذلك فظاهرة تواجد هذه القوات العسكرية كانت من أهم القرارات التي تحمل مسئوليتها الامبراطور أغسطس ولكنه قد نجح في التحكم فيها مما حقق السيادة الامبراطورية في عهد . وكان نهر الراين يعتبر الخط الفاصل بين الحدود الجرمانية والرومانية . ومن المشاكل التي واجهت الرومان في ذلك العصر مشكلة الخلافة على عرش الامبراطورية فكان مبدأ الوراثة هو المنتظر تحتفظه ولكنه لم يكن ليفي بالغرض المطلوب في بعض الأحيان مما استدعى استخدام التبنّي بدلا منه أو مجرد اختيار من يقوم بهذه الوظيفة .

وقد عمل الاضطراب في الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية في هذه المرحلة من تاريخ الامبراطورية الرومانية الى درجة تهدد بالمخاطر ما أدى الى تعدد الثورات في أنحاء متفرقة في الامبراطورية وبصفة خاصة منطقة غالة وذلك في عهد الامبراطور فسبيان T. Flavius Vespasian الذي استمر في الحكم من سنة ٦٩م - سنة ٧٩م . وقد تطلب هذا الموقف ضرورة تدعيم الوسائل الداعمة الرومانية ضد هذه الثورات واستخدم الرومان الحصون والأسوار ذات الأبراج وأنفاق للقنابل بهيكل الدور الذي . ولكن هذه الوسائل لم تحل دون استمرار الاضطرابات الداخلية أيضا فقد كانت المناقشة بين أعضاء مجلس الشيوخ الروماني وبين فئات الشعب الأخرى على أشدها . كما أن ظهور الديانة المسيحية كان عاملا جديدا في المجتمع الروماني أدى الى تكون مجموعة جديدة من معتنقي تلك الديانة وقد ترتب على ذلك معارضة طوائف الشعب الروماني الأخرى التي تعتقد في الآلهة الرومانية لهؤلاء المسيحيين الأول مما أدى أيضا الى عدم الاستقرار في ذلك الوقت من تاريخ الامبراطورية وخاصة أن بعض الأباطرة قد وصلوا الى درجة اعتبار أنفسهم يحملون الصفة الالهية ويظهر ذلك على سبيل المثال في عهد الامبراطور دومتيانوس T. Flavius Domitianus الذي حكم من سنة ٨١م - سنة ٩٦م . وفي الامار الداخلي قد أدت دراسة ظاهرة التبنّي الى هولي عدد من الأباطرة التاليين للامبراطور

نيرفا M. Cocceius Nerva وعم تراجان M. U. Trajan
ومادريان P. Aelius Hadrian وبسوس T. A. Antonius Pius
وماركوس أوريليوس Marcus Aurelius وذلك من سنة
٩٨٠ م - سنة ١٨٠ م . وقد فتح هذا الاتجاه المجال الى هذه الشخصيات
الجديدة ما أتاح فرصة تولي العرش لذوى الكفايات على خلاف الداريقية
التقليدية الممتدة أولا وأخيرا على مبدأ الوراثة . ولكن على الرغم من ذلك
فقد حدثت بعض الاشكالات الاقتصادية في عهد الامبراطور ترجان وذلك
نتيجة ازدياد المطالبات الامبراطورية في المجالات العربية والصلبية مما اضطر
الامبراطور مادريان الى اجراء بعض الحلول المباشرة لهذه الأزمة
الاقتصادية وذلك بالغاء بعض الضرائب . وقد تلورت هذه الأزمة الاقتصادية
في عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس ، والذي اشترك معه أيضا لأول مرة في
الحكم لوكيوس أوريليوس فيروس Iocius Aurelius Verus ، فتمكنت
السلطة الامبراطورية استقلالها الاقتصادي النسبي داخل نطاق الوحدة
الاقتصادية الامبراطورية .

ولم تقتصر التطورات الاقتصادية والسياسية على ذلك بل بدأت
ظاهرة جديدة أخرى في الموقف السياسي بأن حاولت القيادات العسكرية
في الولايات الامبراطورية ترشيح الأباطرة . ولم يستقر الموقف في هذا
العدد بل لقد تنافست الولايات في ترشيحاتها مما أدى الى ازدياد
اضطراب الموقف السياسي الداخلي وتأكيد مدى الضعف السياسي الذي
وصل اليه مجلس الشيوخ الروماني في ذلك الوقت .

ومن ناحية أخرى فقد كان لقرار الامبراطور كركالا Caracalla ، الذي
استمر في الحكم من سنة ٢١١ م - سنة ٢١٧ م ، الخاص بإعطاء الحقوق لكافة
المواطنين الأحرار في أنحاء الامبراطورية الرومانية أثره في تمكن بعض الشخصيات
المنتصبة أصلا الى الولايات الامبراطورية في الوصول الى كرسي العرش الامبراطوري
البهرى الأصل أو يليوس ماكروينوس T. Opellius Maorinus الذي

استمر في الحكم من ٢١٧ م - ٢١٨ وكذلك الامبراطور العربي الأصل
بوليوس فيليبوس الذي استمر في الحكم من سنة ٢٤٤ م - سنة ٢٤٩ م .
وتتبعني الإشارة الى أن دعم الشعوب القبلية الجرمانية وكذلك مهاجمة
الفرس على حدود الامبراطورية الرومانية وقد تضاعف مفعولها رغم محاولة
الاباطرة الرومان التحكم في الموقف السياسي الداخلي والخارجي وذلك أثناء
هذه المرحلة الأولى من تراخي الامبراطورية الرومانية .

أما عن تاريخ المغرب القديم في عهد هؤلاء الاباطرة في
هذه المرحلة الأولى من الامبراطورية الرومانية فقد تحول من منطقة تسود
فيها السيادة القرطاجية الى منطقة يتحكم فيها الرومان . والواقع
أن البربر كما سبقت الإشارة فقد انقسموا على أنفسهم فبينما انحاز
ال بعض الى الجانب الروماني فقد أصرا البعض الآخر على أن
يحافظوا على استقلالهم الذاتي بكافة الوسائل . وقد استمرت هذه
الظاهرة طوال العصر الروماني في المغرب سواء كان ذلك في
هذه المرحلة أو ما تلاها وكذلك تكررت حلقات الصراع بين
الطرفين وذلك لأن الطرف الثاني وهو جماعة البربر الأحرار
والذين تغلب عليهم العفة القبلية ذات الأصالة في الطبع
غير المتأثر بالثقافات الحضارية قد دام على مبادئ القائمة على
الاستقلال وتحرير المغرب من الثقوف الروماني . وكانت سيلتهم
في هذا الصدد القيام بالثورات المتتالية في سبيل تحقيق هذا
المهم فمتمهين فترات ضعف بعض الاباطرة كما سبقت الإشارة الى ذلك

وأبشاً انشغال الدولة الرومانية في توليد أممها الداخلى والخارجى
 في النطاق الأوربى والاسيوى وبصفة خاصة في قالة والدانوب والشرق
 الأدنى . وقد كانت هذه الثورات أن توفى الى نتائج ايجابية ولكنها
 اتجه الرومان الى تحويل المنزب الى عدد من الولايات الرومانية وتدعيم
 ذلك بانشاء المدن الرومانية المرتبطة بالطرق الرئيسية التى تساعد على
 التحكم في المنطقة وكذلك مساعدة هذه السياسة الدفاعية بمياسسة
 اقتصادية تحكمية ، كل ذلك قد أدى الى عدم وصول هذه المجهودات
 البربرية المتحررة الى نتائج حاسمة من وجهة نظرهما . ومن ناحية أخرى
 كان الطرف الأول من البربر يبدل كافة الجهود في سبيل التقرب من
 الرومان تمكينا لاستمراره في تولي حكومات تلك البربرية . وقد اتضح
 ذلك في عهد الملك يوبا الثانى ، ابن يوبا الأول ، الذى يحاصر الامبراطور
 أوفسلس . وتاريخ يوبا الثانى قد اصطبغ منذ البداية بالطابع الرومانسى
 البهت فقد نشأ في العصر الرومانى في روما واعتبر مواطناً رومانياً وقد
 ارتبط أيضاً بالزواج بكنيسة تراجانة الملكة كليوباترا ملكة مصر في نهاية
 العصر الهلنسى . ويمكن اعتبار عصر يوبا الثانى من الناحية الحضارية
 أقرب الى الصفة الدولية لأنه كان نشيلاً في المجال الثقافى وحاول نشر
 هذا الجانب في أرجاء المغرب . وكان يحتد على كافة الثقافات الرومانية
 والقرطاجية واليونانية والمصرية ودعم ذلك الاتجاه بتكوين مكتبة شاملة
 مختلف هذه الثقافات في ذلك العصر ، كما أنه هو شخصياً قد حصل
 جانب العلم والأدب والمعرفة وكتب عدداً من المؤلفات في كافة العلوم
 والآداب . وكان عصره من هذه الناحية متقدماً للغاية ولكنه في نفس الوقت
 قد انقاد للثقافة الرومانية بصفة خاصة تحت تأثير نشأة الرومانية ، ولذلك
 اتجه الى تركيز الجوانب الرومانية ليس فقط في النطاق السياسى بل أيضاً
 في العقيدة . فعملى الرغم من كون البربر قد اعتقدوا في الآلهة البربرية
 الأصل التى آمن بها أيضاً الفينيقيون والقرطاجيون بالاضافة الى آلهتهم
 السامية ، فقد اتجه الملك يوبا الثانى الى عبادة الامبراطور الرومانسى
 أوفسلس وشهد في مدينة شرشال IroI ، التى أطلق عليها اسم تيصرية

واتخذت العاصمة لدولته البربرية . مسجدا للامبراطور أغسطس . وفي
الامارات السياسية لم يستأنج الملك يوم الثاني تهدئة الأطراف البربرية
المتحررة والتي قامت بعدد من الثورات ضدّه في محاولة تحرير المغرب
من السيادة الرومانية . ومن أهم هذه الثورات ثورة الزعيم البربري تاكفاريثاس
Tacerinse وكانت هذه الثورة بمثابة تعبير حقيقي لأولئك البربر
الأحرار . وكانت ثورة تاكفاريثاس من القوة بدرجة أن انتشارها في أرجاء
المغرب كان سرّيا للغاية فقد انهار البربر الى تاكفاريثاس لتحقيق عملية
تحرير بلادهم من الرومان ومن البربر الموالين لهم وبصفة عامة الملك يوم
الثاني . ولم يكن النجاح في بداية تلك الثورة ناجما عن الحساس المتدفق في
سبيل تحقيق أهدافه بل كان أيضا مرتبعا بدرايته بالفنون العسكرية فقد
سبق له أن خدم في الجيش الروماني واكتسب بذلك خبرة عسكرية في أسلحة
المشاة والفرسان . هذا بالاعتماد على أن المنصر البربري يحمل في سجاياه
القوة وتحمل المشاة وسرعة الحركة ما يكلل له تحقيق الانتصارات لمسي
المبارك الحربية . وقد ظهرت سميات أخرى بربرية موريطانية مؤلفة
لتاكفاريثاس وثورته مثل Mazippe وقد تولى احدى القيادات
العسكرية بجانب تاكفاريثاس . وانتشر هذا التيار الثوري بين القبائل
البربرية وبصفة خاصة في وسط قبائل جداله في الجنوب . ولم يعد خطر
هذه القوة البربرية الجديدة فاصرا على الملك الموريطاني يوم الثاني بل
بدأ الرومان ينشون شاعر الموقف وازداد في المنطقة . وقد تجسست هذه
الثورة بصفة خاصة في أواخر عهد الملك يوم الثاني . وتعاصر تلك الفترة
حكم الامبراطور الروماني تيمريوس كلوديوس نيرون الذي استمر في الحكم من
١٦٤ - ١٣٧ م . وقد استمرت هذه الثورة فترة حوالي ثلثي سنوات من
١٧٠ - ٢٤٤ م . وكان من المنتظر أن يلتحق الملك يوم الثاني الى القوات
الرومانية لمعاونة قواته في إيقاف هذه الحركة الثورية البربرية . وقد نجح
الرومان في بداية الأمر في الانتصار على قوات تاكفاريثاس ولكن لم تكن مهمة
الحرب من البربر لتنتهي بتلك السهولة أو بمجرد معركة واحدة وذلك لأن البربر
سرعان ما كانوا يلجأون الى الهضاب والبيدون تأسيس وتنظيم قواتهم مرة

بسرعة فائقة ويبدأون في مهاجمة المراكز الرومانية والبحرية المعادية بصورة خائفة تشبه الاضداد اربلدى أعدائهم . وقد نجح تاكاريناس في هذا الصدد وتمكن من انتاع الهزيمة بالقوات الرومانية والبحرية المعادية ما كفل له الاستيلاء على عدد كبير من القنائم والاسلحة التي تساعده على مواصلة الحرب والانتصار في المراحل التالية . وعلى ذلك لم يتمكن الملك يوم الثاني من ايتنا : هذه الموجة البحرية المتحررة وتوفى سنة ٢٣ م دون أن يصل الى تحقيق فرضه . وتولى ابنه الملك بالمبيوس عرض المملكة البحرية وقد كان ضعف شخصيته وعدم جديته في تصريف شؤون الدولة البحرية في هذا الموقف الدقيق من العوامل التي ساعدت أيضا تاكاريناس على نشر ثورته البحرية بين اللواتف الموريلانية . ولما تنبه الرومان الى عداوة هذا الموقف اتجهوا الى تدعيم قواتهم العسكرية المساندة للقوات الموريلانية ضد تاكاريناس . وقد استخدم الرومان طريقة الكائن المطابقة ضد القوات تاكاريناس وضاعفوا من مهاجمتهم لقواته مما أدى الى تمكنهم من التحكم في الموقف وقتل تاكاريناس سنة ٢٤ م . وعلى الرغم من كون الملك البربري : يعتبر في جانب السياسة الرومانية فقد تصرف الامبراطور كالبحر كالجولا تصرفا شاذا عندما أمر بقتله على أشعر اجتذابه انتباه العاهلين بزيه الأرجوانى اللون في حفل رسمي وذلك سنة ٢٤٠ م . ولكن يغلب ان السبب الرئيس في الأمر بقتله يرجع الى رغبة الرومان في الاستحواذ على المناطق شبه المستقلة النشبة بالمغرب تحت نفوذهم المباشر بنسبها الى الامبراطورية الرومانية . وتحقيق ذلك فعلا ونشأت ولايتى سوريا القيصرية والطنجية داخل نطاق المغرب الرومانى .

المغرب في عصر الاحتلال الرومانى :

حاول الرومان بكافة الوسائل العسكرية والتأمرية تثبيت أقدامهم في أفريقيا المغرب بعد نجاحهم في احتلاله واعتباره احدى الولايات في الجمار الامبراطورية الرومانية . ولكن هذه المهمة لم تكن من السهولة بمكان لعدة

أسباب محلية وخارجية سياسية واجتماعية واقتصادية وبدنية وبشرية . أول
هذه الأسباب وأهمها هو شعور البربر بضرورة تحرير بلادهم من السيادة
الرومانية ولتقيا في سبيل ذلك بعدد كبير من الثورات المتتالية أثناء
المرحلتين الثانية والثالثة من العصر الروماني في المغرب . ولم تواجه
الامبراطورية الرومانية تلك الثورات البربرية فقد بل لقد كانت عندها
ثورات أوروبية وبصفة خاصة غالية تهدد الى الاستقلال أيضا عن تالاق
الامبراطورية الرومانية واقامة دولة غالبة مستقلة . وهذا بالإضافة الى
الثورات المشرقية الفارسية والمصرية والمقاومات الشديدة التي واجهها
الرومان في تلك المرحلة . وليس المؤرخ أن الرومان لم يفوقوا في نهاية
الامر بين البربر القارين ضدهم وبين البربر السوالين لهم فقد انتهت
موجة كراعية ضد البربر بوجه عام وسددوا كافة قوادسهم ضدهم انهم
لما ومنهم وتثبيتا للسيادة الرومانية في المغرب . وقبل التمرض الى وسافل
الرومان في محاولة انهاء المقاومة البربرية تنبى الاشارة الى بعض تلك
الثورات البربرية أثناء المرحلتين الثانية والثالثة من عصر الامبراطورية
الرومانية .

لقد انتشرت هذه الثورات أثناء ظلية عصر الامبراطورية الرومانية
في المغرب استكمالاً لمرحلتها السابقة في عصر الجمهورية الرومانية وقد
احتلت مكانها خاصة في جهود الباطنة كلود يوس نيرون قيصر وتيتوس فلافيوس
فبسيان وماركوس اليوس تراجان ويوليوس ايليوس هادريان واطونيوس
بيوس وكومودوس واطونيوس وسفيريوس الاسكندر . وقد يالوس وغيرهم
ويلاحظ أن البربر القارين لم يقتصروا على البربر الذين استوطنوا الأودية
والمدن والقرى ودخلوا في تماسك المدينة بعد اتصالهم بالغنيمات
والقرطاجيين بل أيضا بربر المناطق الجبلية والصحراوية وكانوا لا يزالون على
نعتهم البدوية وشكمتهم القوية فكانت ملاقتهم للرومان مديدة . ذلك سيع
العلم بأن هذه الاقاليم الجبلية والصحراوية صعبة المنال أمام القوّة الرومانية
لما تكتنفه ببعثتها من مسالك وعرة وتضاريس الجبلية يعرف البربر عباها .

وكان البربر ينتهزون ضعف الأباطرة أو الاضطرابات السياسية أولاً اقتصادياً الرومانية ويبادرون بالهجوم على الممسكرات والمدن والمراكز الرومانية تحت قيادة زعمائهم وروساء قبائلهم . ولقد نجحت هذه الثورات في بدايتها ولكنها لم تصل إلى غاية بسبب عناصر الخيانة المنبئة في بعض صفوف البربر نتيجة تحريض الرومان وتشجيعهم بكافة الوسائل . ولكن على الرغم من فشل هذه المحاولات في أضعافها لأنها كانت تتعاضد الكثرة مرة أخرى ؛ ولقد كان استفزاز الرومان للبربر شديداً للغاية ما يدفعهم إلى المداومة على عملياتهم الثورية . فقد كان الرومان يحلون أنفسهم مكان البربر الآمنين في المدن والقرى الغربية ويستولون على أراضيهم وماشيتهم ويدفعونهم إلى الالتجاء إلى المناطق الصحراوية القحلة ما يثير سخط البربر وغلظتهم . وكانت صليبة تهجير البربر وجلائهم عن أراضيهم تهدد فالى الاستعمار الرومانى في المغرب على حساب البربر . ولقد استخدم الرومان وسائل العنف والضغط الحرسى لتحقيق غايتهم . ومن ناحية أخرى اضطرب بعض أولئك البربر إلى التوجه إلى الصحراء وهجروها نحو الجنوب . ولقد كانت تحركاتهم نحو نهر النيجر وفارس ووسط أفريقيا حلقة جديدة لتلك الرحلات الاقتصادية التى سبق لاسلافهم تعقبها أثناء العصر القرطاجى . ولقد اختلطت هذه العناصر البربرية الهامة الاصل ببعض العناصر الزنجية وتمكنت من تأسيس دولة قانن القديمة .

ومن أهم الثورات البربرية التى كادت أن تنجح ثورة الملك البربرى فيرموس Firmus سنة ٣٧٢ م وكان قد نجح في تحقيق التحالف السياسى والحرص بين بعض القبائل البربرية ، وكذلك استفاد من وجود مذهب مسيحية جديدة معارضة للرومان ونجح فيرموس في التحالف معها أيضاً . ولقد كان البربر يؤملون في الدعوة المسيحية السلمية ويعتبرونها خطوة جديدة نحو انتهاء السيادة الرومانية ، وأقبلوا على اعتناق الديانة المسيحية ولكنهم تعطلوا بالتعديب القديس من جانب الرومان . واتجه فيرموس قواته نحو مدينة شرشال العاصمة الموريطانية وتمكن من احراز الانتصار على الرومان والاستيلاء عليها . وأزاء هذا التطور الحاسم في الكيان السياسى المغربى القديم اتجه

الرومان الى استبعاد وساعلمهم التآمرية التي سبق لهم استخداها
أثناء المرحلة الأخيرة من عصر الدولة القرطاجية ، فقاموا بتحريض أخيه
جبلدون وتبنيته بكافة الوسائل وتشجيعه على قيادة أخيه فيرموس
والإيقاع به . ولما انتهت الأخبار الى ذلك فضل الانتحار سنة ٣٢٥ م
وبذلك انتهت هذه الثورة البربرية التي وصلت الى درجة حاسمة في
مقاومتها للنفوذ الروماني . ولم يستمر جبلدون في موالاته للمسادة
الرومان بلجبلدا بعد تبوءه المناصب العسكرية الرومانية في المشرب
بل سرعان ما انقلب عليهم قاد ثورة بربرية جديدة سنة ٣٩٦ م
واستغرم الرومان مرة أخرى وسيلتهم التآمرية بتحريض أخيه عقيل ضد
وتكررت الأساة وانحدر جبلدون . وفي هذه المرة لم يتم الرومان على
عقيل بالمناصب مثل أخيه بل تركوه دون ذلك رغم ولائه لهم .

أما عن الوسائل المباشرة التي اتخذها الرومان في سبيل تحقيق
سيادتهم الرومانية على الأراضي المضربة فكانت تتركز بصفة خاصة في تدعيم
قواتهم العسكرية ، فقد أمر الأباطرة بإنشاء المعسكرات الدائمة المجهزة
بكافة الاحتياجات الرئيسية لجنود فرق الاحتلال الروماني وعلى رأسها
فرقة أغسطس الثالثة التي عهد إليها بالدفاع عن الكيان الروماني في
المغرب . وكان المعسكر بمثابة مدينة عسكرية تتضمن المغازن والأسطبلات
وساحات التدريب العسكري . وقد اتجه الرومان الى تجنيد البربر وكذلك
المناصر الغالية والإسبانية والسورية ولكن تحت قيادة الرومان . ولقد
تألمحت عمليات بناء هذه المدن الحربية بذل جهود ضخمة في الهندسة
والتشييد وتزويدها بالماء والغذاء . وتطور ذلك نحو استيلاء الجنود على
الأراضي المجاورة واستغلالها لصالحهم ، ولم يقتصر الأمر على الجيش بل
لقد كان للرومان قواتهم البحرية أيضا ولكنها لم تكن بالجسامة التي كانت
عليها في فترات الصراع البحري الشديد مع القرطاجيين ولذلك اقتصر
واجباتها على عمليات حراسة السواحل وإبعاد القراصنة وتأمين السواحل
المغربية . وكان من أهم واجبات القوات العسكرية مراقبة تحركات البربر

ومراكز تجمعاتهم والوقوف أمام ثوراتهم والدفاع عن الكيان الرومانسي .
ولكن تحقيق هذه الأغراض قد استلزم انشاء الطرق اللازمة للحركات
المسكربة والمدنية . وقد خلف الرومان شبكة طويلة من الطرق تمتد
من أهم مخططاتهم في المغرب . ومن أشهر تلك الطرق الطريق الساحلي
الممتد من مدينة قرطاج الى الشرق حتى ليد ، وإلى الغرب حتى طنجة
الى شال ، ولترق داخلية تصل الى تيسه وتجاد وجميلة وفولوبليس وهي
وليلي أو قصر فرعون . واستكمالا لهذه الوسائل الحربية التي شططها
الرومان قاموا بحفر خنادق حول الأسوار والحصون تدعيمها لخطوطهم
الدفاعية .

ويتبين من ذلك أن هذه الوسيلة الحربية قد احتلت المكانة
الأولى في الغلبة السياسية الرومانية في المغرب ولكن استمر استخدام
بعض الوسائل التقليدية الأخرى مثل محاولة اجتذاب زعماء البربر بكافة
الوسائل للجانب الروماني وكذلك محاولة عقد المحادثات السياسية مع
القبائل البربرية . ولكن على الرغم من هذه الوسائل التي كانت تسود
ظاقتها في بعض الأحيان فقد ظلت بعض الجبهات الجبلية تحت السيادة
البربرية .

والواقع أن تاريخ المغرب القديم في صميم عصر الإمبراطورية الرومانية
قد تأثر كل التأثر بأحداث الإمبراطورية الداخلية والخارجية كاشكالات
المنافسة على العرش الإمبراطوري وكذلك استهتار بعض الأباطرة وتصرفاتهم
غير العادية ، ومن الأمثلة الصارخة لذلك حادثة مقتل الملك البربري
بالميسوس في عهد الإمبراطور كاليجولا وكذلك تصرف الإمبراطور كلود بيسوس
نهرين قبصر بصد حريق روما سنة ٦٤م ، وأيضا تدخل القوات الإمبراطورية
وتعدد الترشيحات فيها لوظيفة الإمبراطور ، ومن ناحية أخرى أيضا كانت
هجمات العناصر الجرمانية وضغطها البربري على الأطراف الإمبراطورية
الرومانية في أوروبا من المغالط الرئيسية التي واجهتها الإمبراطورية الرومانية ،

ويتصل ذلك بتاريخ المغرب القديم في أواخر عهد الامبراطورية عندما فصل
تلك الهجرات البشرية حتى شبه جزيرة ايبيريا وتحتلش بالمغرب وتبسط
موريلانيا بصفة خاصة ، كل ذلك قد أثر على تصرفات الرومان في كافة أنحاء
الامبراطورية متمثلة بالمغرب ، ولكن كانت هناك بعض الأحداث المحلية
في المغرب قد ارتبطت بالمرحلة الأخيرة من تاريخ المغرب في المصير
الرومانى وعلى رأسها دخول الديانة المسيحية الى المغرب واعتناق البربر
لها . وقد اعتبر الرومان هذا الاتجاه متنافيا مع أفكارهم الدينية وقام بعملية
معارضة شديدة وقاسية على أولئك المسيحيين الأول من البربر . وكذلك كان
للتأخمية الاقتصادية أثرها في تلك المرحلة لأن الطبقة الارستقراطية من
الرومان كانت قد تدهورت في اسرافها معتمدة على ضيعاتها الكبيرة والثروات
التي تحصل عليها من وراقها مما أدى الى اضطراب الأحوال الاقتصادية
وعدم توازن اقتصادى الى درجة أن الرواتب أصبحت تدفع بصورة عينية بدلا
منها نقدية ، وكان كل ذلك من الأسباب التي أدت الى اضمحلال السيادة
الرومانية في أواخر عصر الامبراطورية . ويمكن القول بأن هذه المرحلة
التي تدور في تاريخ المغرب القديم قد بدأت بعد انتهاء حكم الامبراطور
جورد يان الثالث الذى حكم من ٢٣٨م - ٢٤٤م . وتستر الى حد كبير حتى
سنة ٤٢٩م . وعلى الرغم من مظاهر هذا الضعف الصالح الذكر فقد حاول
بعض الأباطرة انقاذ الموقف في المغرب ، مثال ذلك قراوات الامبراطور
ثي . أوريليوس فاليريوس دقلديانوس الذى حكم من سنة ٢٨٤م - سنة
٣٠٥م . الذى قام بتوزيع السلطة الامبراطورية على أربعة من القياصرة ،
واتجه أحد هم الى المغرب وقام بعملية تقسيم الولايات البشرية الى عدد من
الولاياتهم . وما يستترى الانتباه أن موريطانيا الطنجية قد انضمت الى
الولايات الإسبانية . ولكن هذا التقسيم سرعان ما غير الامبراطور قنستانتين
الأكبر وهو فلافيوس فاليريوس قنستانتين الذى استمر في حكمه من سنة ٣٠٦م
الى سنة ٣٣٧م . فقد جمع الولايات النوميدي في ولاية واحدة واتخذ مدينة
قرطاج العاصمة السابقة عاصمة لهذه الولاية المتحدة الجديدة وحملت أسمه

أى تستلجئ به . ومن ناحية أخرى إتخذ هذا الإمبراطور قرارا دائما ونسج
مرسوم ميلان الذى يقضى بمساواة المسيحيين في المعاملة مع غيرهم
من باقى محتلقى الديانات الأخرى وأعادوا اليهم أملاكهم . وكانت نهاية
العصر الرومانى في المغرب على أيدي العناصر الوندالية التى كانت
تد توفقت في شبه جزيرة أيبيريا والتى انتهزت فرصة اختلاف أحد الحكام
الرومان وعو بونيفاس مع روما واستمانته بهم فتقدموا نحو المغرب سنة
٤٢٩م . وكان ذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ المغرب هى العصر
الوندالى . وقبل الانتقال الى هذه المرحلة يلزم التمرس الى الجانب
الحضارى في تاريخ المغرب أثناء العصر الرومانى .

الفصل الثامن

المصر الروماني في المغرب في جانبه الحضاري

أول ثلاثة مائة يلمسها المدارس في مصر الروماني في المغرب هي قيام الرومان بإنشاء عدد من المدن الرومانية الساحلية والداخلية في كافة أنحاء المغرب ، وقد اختار الرومان في غالبية الأمر نفس المواقع التي سبق أن اختارها الفينيقيون والقرطاجيون لإنشاء مدنهم . ويمكن تلمس ذلك في المواقع الأثرية حيث يلاحظ تواجد الطبقة الرومانية فوق الطبقة الموريثانية التي تقع بدورها فوق الطبقة القرطاجية ، وذلك لأن عملية اختيار هذه المواقع كانت تتفق مع الرواد الأول من الفينيقيين من حيث صلاحية المكان وتناسبه مع كافة الأغراض الاقتصادية وال دفاعية . وقد انتشرت هذه المدن الرومانية في الولايات الأربعة الرئيسية في المغرب وهي ولايات أغريقيا ونوميديا وموريثانيا القيصرية وموريثانيا المالطية . وقد امتدت الولايات الأفريقية في جانبها الشرقي حتى مدينة أرابلس وفي جانبها الغربي حتى مدينة طنجة . بينما تركزت نوميديا بصفة خاصة في شرقي الجزائر . أما موريثانيا القيصرية والمالطية فتحتل مناطق شرقي الجزائر والمغرب الأقصى ويفصل بينهما نهر ملوية . وقد اتخذت مدينة شرشال عاصمة لموريثانيا القيصرية بينما مدينة ملوجة عاصمة لموريثانيا المالطية . وقد تضمنت المدن الرومانية في تغلبها كلها كافة العناصر الرئيسية الحكومية والخاصة ، فتمتد شيدت المباني الحكومية والمكتبات والمساجد وأتوا من النصر والحاميات والحوادث والإسواق والمنازل ومساكن الزبوت والساحن والساحات والمساح نصف الدائرة ، والملاعب الدائرية والاسطبلات وغيرها من مظاهر الحياة العامة في المدن . وكان يشق المدينة الرومانية في تغلبها كلها أن يرتكبان أحدهما يتجه من الشمال إلى الجنوب والأخر من الشرق إلى المغرب ، ويتقابل الدائرتان في الساحة العامة التي تحتل بظلة سوق المدينة ومركز النشاط الشعبي فيها . وكان يحيط بالمدينة حائط كبير له أبوابه ، وليس سبيل المثال يبلغ طول حائط مدينة فولبوليس ٥٣٠ مترا ويبلغ ارتفاع

الحاقل ثمانية أمتار ومسكه ١٦٠ مترا . ولم تكن صلبات تشييد هذه الصهار الجديدة بالمهمة السهلة بل لقد تطلبت جهودا كبيرة لأنهما تتصل بانهاض مدن كاملة . ومن الأهمية الاشارة الى أن الصارة الرومانية قد اعتمدت الى حد كبير على الصارتين اليونانية والشرقية . وعلى سبيل المثال يلاحظ أن قوس النصر الروماني يمكن ارجاعه في أصوله التاريخية الى الفن الاشوري . ويلاحظ أيضا تواجد بعض المسلات المصرية في روما وكذلك بعض المقابر الرومانية ذات الشكل الهرمي المصري القديم . ولم تقتصر الحمامات الرومانية على جانب النظافة العامة بل كانت بمثابة مراكز للتشاكل الرياضي البدني وأيضاً للثقافة والقراءة العامة . وقد حاول الرومان طبع هذه المدن بالطابع الروماني الصرف وكذلك التأثير على الممر بكافة الوسائل لاجتذابهم الى الثقافة الرومانية ولطمعهم بالتألس في الآثار الروماني . وقد كان المواطنون الرومان في تلك المدن المخرية يحملون نفس حقوق المواطنين في مدينة روما فقد كانت تلك المدن بمثابة أمثلة أخرى للعاصمة الرومانية . ولقد خلدت الآثار عددا من هذه المدن الرومانية ، فلا تزال بعض آثار هذه المدن الرومانية تشهد الكثير من هذه الصاغر . وقد تخلقت بعض المنازل الرومانية الخاصة التي كان يقطنها أثرياء الرومان وقد زينت أوعية تلك المنازل بالفسيفساء الملون والذي يميز عن بعض الأسماء الرومانية وكذلك يحمل بعض النقوش الانسانية والحيوانية الفنية ، وكذلك تبت بعض الآثار الفنية الرائعة فسي النحت ومثال ذلك تمثال الكلب البرونزي ، وتمثال أخرى انسانية ، وقد تميز المغرب في العصر الروماني في الصناعة الفخارية وكذلك صناعات الصباغة الأرجوانية من الأصداف المحلية على الساحل المغربي في نواحي جزيرة الصويرة . وترجع هذه الصناعة في أصولها الى المصريين الفنيقيين والقرطاجي حيث كانت من الصناعات المستوردة أصلاً من الساحل الفنيقي بهذا بالإضافة الى صناعات أخرى مثل السجاجيد والأنسجة وغيرها . وتلزم الاشارة في هذا الصدد الى دور القرطاجيين في ادخال الكثير من هذه الصناعات الى المغرب قبل الرومان .

ولقد نهضت هذه المدن الرومانية بعد انشاقها نشاطا كبيرا وأعطت للمغرب صفته المدنية أكثر من الصفة البدوية ، واجتذبت هذه المدن الكثير من البربر اليها وبصفة خاصة أولئك الذين كانوا يحملون في المزارع والضواحي الرومانية التي كان يمتلكها كبار أثرياء الرومان . ولا معنى ذلك أن أولئك البربر قد انفصلوا كلية عن مجتمعهم بل سرفان ما كانوا يتجهون الى الانضمام الى قبايلهم البربرية عند ما تتجه تلك القبائل الى الثورة ضد النفوذ الروماني :

ولقد اتجهت السياسة الرومانية في المغرب الى استغلال أقاليمه استغلالا شاملا في المجال الاقتصادي . ولم يقتصر هذا الاتجاه على المغرب بل لقد شمل أيضا كافة أرجاء الولايات الرومانية وعلى رأسها مصر . فقد اعتبر الرومان كلا من المغرب ومصر بمثابة مخزن كبير للحبوب وبصفة خاصة القمح لتزويد المجتمع الروماني . ولذلك اتجه الرومان الى إعطاء عناية خاصة للمجانب الزراعي وعملوا على تطوير الزراعة المغربية لتحتقيق غايتهم الاقتصادية . والواقع أن القرطاجيين كانوا قد سبق لهم أداء دور كبير في تطوير الحياة الزراعية في المغرب وما يتصل بها من حياة حيوانية مستأنسة . فقد أدخل القرطاجيون زراعة الزيتون والكروم وفواكه مناخ البحر الأبيض المتوسط مثل التين والبرمان واللوز بالإضافة الى الخضروات المختلفة . وكذلك اعتمد القرطاجيون بعمليات تصنيع بعضها هذه المحاصيل وبصفة خاصة الكروم والزيتون واستخراج الزيت واستغلالها في كافة الجوانب الغذائية والصحية والطبية بالإضافة . وكان دور الرومان في هذا المجال على نطاق أوسع من دور القرطاجيين لأن المدن الرومانية كانت تعتمد على اقتصاد ذاتي ، فلكل مدينة ملاحيتها ومعاصرها الخاصة بها مما أدى الى انتشار الزراعة والصناعة ، وبالتالي التجارة . وما يستترى الانتباه أيضا أن روما كانت تستورد بعض الأعشاب النادرة من المغرب بجانب المواد الأولية الأخرى وعلى رأسها الحبوب والزيت والأخشاب

وغيرها . ولم يقتصر النشاط التجاري مع شحوب البحر الأبيض المتوسط على رأسها الدولة الرومانية بل اتجه نشاط المغرب أيضا الى المنطقة الجنوبية منه ، ويتصل ذلك بالنشاط البشري والاستكشاف والتجاري الذي سبقته الإشارة اليه منذ المصريين الفنيقي والقرطاجي في منطقة النيجر وساحل أفريقيا الغربي .

وقد تألفت هذه التوسعات الزراعية توفير المشروطات المائية اللازمة لتحقيق هذه الغاية الاقتصادية فاهتم الرومان في المغرب بحمل السدود لتخزين مياه الري ، هذا بالإضافة الى حفر الآبار وبناء مجاري المياه الرئيسية والتأنيب وكذلك جمع مياه الأمطار وتخزينها ، وحفر القنوات لسري مختلف الزراعات .

وقد ألحقت بالمزارع الرومانية في المغرب بالزراعة من الحيوانات المتصلة بالحياة الزراعية كالمجول والخيول وكذلك أيضا الدواجن والنحل . وكذلك استمرت لبلبات صيد الحيوانات المفترسة كالنمر والفيلة والأسود من الغابات المغربية حيث كانت تستخدم في الملاعب العامة .

ولم تقتصر الحضارة الرومانية في المغرب على تلك الجوانب المادية المسالفة الذكر بل لقد حاول الرومان أيضا نشر الثقافة الرومانية بكافة الوسائل في المجتمع المغربي . فقد اهتم الرومان بضرورة فرض الفلسفة اللاتينية في البيئة المغربية ولكن لم يتحقق ذلك بصورة عملية من جانب المربر الذين استمروا على استخدام لهجاتهم البربرية المتأثرة بالفلسفة اليونانية . وفي المجال الديني حاول الرومان أيضا فرض ديانتهم في المجتمع المغربي القديم وعلى رأسها عبادة الامبراطور الروماني ولكن المربر لم يلقوا بقبولها ذلك بسهولة فقد كانوا يعتقدون في آلهتهم البربرية مثل تانيمست والقرطاجية مثل الاله بعل حمون . ولكن الرومان حملوا اليهم عبادة الامبراطور وكذا عبادة الآلهة الرومانية والشرقية مثل أوزير وإيزيس . وعلى الرغم من موافقة الرومان للديانة اليهودية بالاستمرار في أدائها شحاترها

كانهم في بداية الأمر لم يوافقوا على مثل ذلك لمدانة المسيحية لأنهم كانوا يعتقدون بأن البربر قد اتعدوا تلك العقيدة كوسيلة لمعارضتهم . هذا وقد أقبل البربر على اعتناق المسيحية متخذين من صفتها السلمية دافعا ضد السيطرة الرومانية وقد ظهرت في المغرب عدة مذاهب ينيمة واجتماعية في ذلك الوقت . وعلى رأسها المذهب الدوناتي . وكذلك ظهر بعض الأدباء المسيحيين في المغرب في ذلك الوقت مثل أفراسيوس ما يوهك تواجد جانب فكري فلسفي في المغرب .

ولكن هذا العناصر الحضارية الرومانية المادية والفكرية لم تتمكن من احلال نفسها بصورة نهائية في المغرب وصنفه بالصيغة الرومانية البحتة ، فقد ظل البربر يتأقون الرومان بثوراتهم المتتالية في المجال السياسي والعربي حافظين على تركتهم الحضارية البربرية والقرطاجية حتى أثناء المرحلتين الموندالية والهيرتكية .

من ذلك كله تنهين تلك الحقيقة التاريخية التي يلمسها الباحث في التاريخ المغربي القديم أثناء العصر الروماني وهي احتفاظ المغرب بنزعتيه الحامية والسامية رغم محاولات الرومان المستمرة لطبعه بالطابع الروماني في كافة المجالات الحضارية المادية والفكرية . وهذه الحقيقة تؤكد الصفة المميزة للمغرب القديم وهي أصالته الشرقية الأولى قبل العصر العربي . وكما سبقنا الإشارة استخدم الرومان في هذا الصدد الكثير من الوسائل الحربية المدنية المشروعة وغير المشروعة في سبيل تحقيق وجهة نظرهم ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول الى غايتهم النهائية . والتفسير التاريخي لذلك هو أن المغرب في العصر القرطاجي قد تمكن من الوصول الى صميم العصر التاريخي وبدأ يؤدى دوره السياسي والحضاري في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط على قدم المساواة بالدولة الرومانية ولذلك لم يكن للاحتلال الروماني فاعليته الكاملة في تمديد هذا الاتجاه الى أن استقبل المغرب مرحلة حاسمة جديدة في التاريخ وهي المرحلة العربية كون فيها المغرب والمشرق أمة عربية جديدة .

